وليَم شكسبير



سيدان من فيرونا

تعريب

أ. ر. مشاطي

إشراف

نظير عبود

سيدان من فيرونا

وليم شكسبير

سيدان من فيرونا

تعريب

… مشاطي

إشراف

نظير عبود

دار

نظير عبود

طبعة ١٩٩٤

ص.ب : ٨٠٨٦/ ١١ تلفون : ٩٣٦٧٧٢ـ ٧١٤

اشخاص المسرحية

دوق ميلانو : والد سيلفيا

فالنتينو } سيدان من فيرونا
بروتيو }

انطونيو : والد بروتيو

توريو : مزاحم فالنتينو

آكلامور : رفيق سيلفيا في هربها

ديليجنس : غلام فالنتينو

لنسيو : غلام بروتيو

بنتينو : وكيل انطونيو

صاحب فندق تقيم جوليا عنده في ميلانو

لصوص

جوليا : سيدة من فيرونا وحبيبة بروتيو

سيلفيا : حبيبة فالنتينو
لوسيا : مرافقة جوليا
خدم وموسيقيون

الاحداث تجري تارةً في ميلانو ، وطورا في فيرونا ، وأحيانا في غابة على طريق مَنتوَا .

الفَصل الأول

المشهد الاول

ساحة مدينة فيرونا

(يدخل فالنتينو وبروتيو)

فالنتينو : كفّ عن اقناعي يا عزيزي بروتيو بأن الشباب الذي تنحصر آماله في البيت هو دائما شباب محدود . لو لم يكن الهوى حليف ايامك الحلوة من خلال سحر عينَي الصبية التي تحبها ، لكنتُ طلبت منك ان تسوح معي وترى عجائب الدنيا بدلا من ان تعيش حيث انت ، حياة مضطربة ، وتبدد شبابك في مجون مبتذل . ولكن بما انك عاشق ، عليك ان

تتبع عواطفك، كما أتوخى انا المرح والهناء عندما يهب عليّ نسيم الحب .

بروتيو : ان كنت تريد ان تسافر يا عزيزي فالنتينو ، تذكّر صديقك بروتيو ولاسيما عندما تبصر صدفة طَرَفاً نادرة تستحق الاهتمام اثناء تجوالك . وحاول ان تشركني بمتعاتك حالما تسنح لك الفرصة ، اذ تروي لي المغامرات التي تعترض سبيلك ، وأنا ادعو الله ان يبعد عنك المشاكل والاحزان.

فالنتينو : أجل ، صلّي لاجل نجاحي في الحب .

بروتيو : سأصلّي لاجلك ضمن نطاق ما أتمناه لك .

فالنتينو : بل لاكتمال قصة غرام شيقة كما جرى لصاحبك الذي ناجى حبيبته في المنام .

بروتيو : هذه رواية حب اروع من كل ما سمعت به . لان زميلك غائص في احلام اليقظة .

فالنتينو : هذا صحيح . وأنت ايضا غارق في بحر الهوى أوَما ناجيت حبيبتك في رابعة النهار ؟

وتيو : أأنا غارق في بحر الهوى ؟ لا تشغل بالك ، يا صديقي العزيز .

لنتينو : صدّقني ، وان كان ذلك بعيد الاحتمال ، ومهما تجاهلت الحقيقة .

بروتيو : ماذا تقول ؟

فالنتينو : عندما يكون المرء عاشقا يفضح نفسه بما ينتابه من الهم

والكدر والدموع والنظرات التائهة القلقة والآهات الخانقة والمتعات العابرة والليالي الطويلة التي يقضيها بالسهـــاد والحيرة والسأم • ففي حال فوزك بالمنى ، سيكون فلاحك وبالا عليك ، وفي حال خيبتك ، سيكون عذابك مبرّحا لا يعوض عنه أي نجاح • هذا حتما ضرب من الجنـــون يتعدّى كل حرص ، أو قل هو التعقّل المبطّن بالهوس •

بروتيو : أهكذا تلخص وضعي وتتهمني بقلة التبصّر ؟

فالنتينو : في الحقيقة انت تستنتج غير الواقع ، وأنا اخشى عليك ان تفقد صوابك •

بروتيو : اراك تلومني على ولهي ، بينما انا لست هائما •

فالنتينو : اعلم ان الحب سيد مستبدّ في تسلطه ، ومن يستسلـــم هكذا الى عواطفه لا يتصف بالحكمة ابدا •

بروتيو : مع ذلك يقول العارفون :كما ان الدمل الخبيث يكمن في اصغر البثور هكذا العشق القاتل يتسرب الى أصفـــى الاذهان •

فالنتينو : وحسب قول العارفين ايضا : كما ان السوس يفتك بالبرعم المبكر قبل ان يتفتّح ، هكذا يتعرض شباب الفتى الغض، بفعل الهوى ، الى جنون مطبق ، ويذوي وهو لا يزال غرسة طرية العود • ومنذ اول نشأته يفقد نضارته ورونقه ويخسر زهو مستقبله • ولكن لماذا أضيع الوقت في اسداء النصح اليك انت الذي كرست حياتك لمثل هذه الاشواق

المتهافتة • مرة ثانية اقول لك الوداع ، لان والدي ينتظرني في المرفأ ليشيعني •

بروتيو : سأوصلك الى هناك ، يا فالنتينو •

فالنتينو : كلا ، يا عزيزي بروتيو • ليودّع احدنا الآخر هنا • ثم لا تتماهل في الكتابة لي الى ميلانو عن نجاحك في الغرام، وعن كل ما يجدّ معك اثناء غيابي • وأنا بدوري لن أؤخر عليك رسائلي •

بروتيو : أتمنى لك كل التوفيق والسعادة في ميلانو •

فالنتينو : وأنا كذلك • فالوداع • (يخرج فالنتينو) •

بروتيو : هو يسعى وراء غار الامجاد ، وأنا اسعى وراء مسرّات الحب • هو يغادر اصحابه ليزيد افتخارهم به ، وأنا أستسلم ، متناسيا كل مشاغلي حتى نفسي ، الى مباهج الهوى ومتعاته • آه ! يا عزيزتي جوليا ، انت وحدك سبب تحوّلي هذا • وأنتِ سبب تهاوني في دروسي واضاعتي وقتي وتهرّبي من أخلص الارشادات ، وتردي كياني برمته في هاوية العدم • فالذنب كله ذنبك في ارهاق فكري بالاحلام ، وقلبي بلوعة العشق ، علّة العلل •

(يدخل ديليجنس)

ديليجنس : نهارك سعيد ، يا سيدي بروتيو • هل شاهدت معلمي فالنتينو ؟

بروتيو : لقد ذهب منذ لحظة للابحار الى ميلانو •

ديليجنس : أراهن بواحد مقابل عشرين ، على وجوده الآن على متن السفينة ، وأنا أواصل البحث عنه منذ ان غاب عن ناظري.
بروتيو : غالبا ما يضيع الخروف اثناء غياب الراعي .
ديليجنس : انت تعتبر ان معلمي راعٍ وانني كبش بقرنين .
بروتيو : أجل .
ديليجنس : اذاً قرناي هما قرناه ، سواء نمتُ او سهرت .
بروتيو : جوابك سخيف ولا أستغرب صدوره عن حيوان مثلك .
ديليجنس : وما البرهان على اني حيوان ؟
بروتيو : الامر واضح ، ما دام سيدك راعيك .
ديليجنس : انا أثبت لك العكس تماما ، وحجّتي دامغة .
بروتيو : اكون على خطأ مبين ان لم أثبت لك ذلك ببرهان معاكس أقوى .
ديليجنس : الراعي يسعى وراء الكبش ، لا الكبش وراء الراعي . وها انا اسعى وراء معلمي ، وهو لا يسعى ورائي . فاذاً انا لست بحيوان .
بروتيو : الكبش يتبع الراعي للحصول على العلف ، ولا يسعى الراعي وراء الكبش لكسب أي مغنم . وبما انك تسعى وراء معلمك لنيل أجرك ، ولا يسعى اليك معلمك لنفس الغاية فأنت اذاً حيوان .
ديليجنس : اذا جئتني ببرهان آخر كهذا ، جعلتني أصرخ : ماع .
بروتيو : ولكن اسمع . هل سلّمت جوليا رسالتي ؟

ديليجنس : أجل ، يا مولاي . انا الخروف المسكين التائه ، لم اتأخر في تسليم رسالتك الى النعجة الضالة التي لم تعطني فلسا .

بروتيو : ألاحظ ان المرعى غير كاف لكل هذا القطيع .

ديليجنس : اذا كانت نعجتك لا تجد ما يشبعها ، فما عليك الا ان تزيد لها العلف .

بروتيو تبأ لك من مغفّل . سأرسلك انت ايضا الى المرعى .

ديليجنس : لتسليم تحرير جديد ، فاستحق على الاقل مئة فلس .

بروتيو : كيف تطالبني بمبلغ ضخم كهذا ، وأنا لست مدينا لك بفلس واحد ؟ (يقوم ديليجنس بحركة اشمئزاز) . هل هزّت هي رأسها ؟

ديليجنس : هه ، ها .

بروتيو : أسألك هل هزّت رأسها ؟

ديليجنس : بدون شك ، يا سيدي . لان لها عنقا طويلا ورأسا عاليا .

بروتيو : يا لك من بغل سمج .

ديليجنس : أحقا انت تظنني دابة لا تصلح الا للاشغال الشاقة ؟

بروتيو : كيف تقول هذا ، يا صاح ؟

ديليجنس : انت تحمّلني مكاتيبك وتكيل لي هذا المديح ، ثم تدعوني بغلا ؟ وهكذا تستخدمني كدابة للاشغال الشاقة .

بروتيو : يا ملعون ، كم انت متوقد الذهن !

ديليجنس : ان ما لديّ من نباهة لا يكفي مع ذلك لحل كيس نقود

محكم الربط مثل كيسك •

بروتيو : هيا أفدني بصراحة وإيجاز ماذا أبلغتك ؟

ديليجنس : افتح كيسك اولا ، فأفتح لك صدري حالا •

بروتيو (يعطيه قطعة نقود) : خذ هذا يا صاحبي لقاء خدمتك ، واخبرني ماذا قالت لك ؟

ديليجنس : أعتقد حقا ، يا سيدي ، بأنك لن تستحوذ على قلبها بسهولة •

بروتيو : كيف تبيّن لك ذلك ؟

ديليجنس : انا لم استطع ان أستوضحها • وهي لم تعطني فلسا واحدا لقاء تسليمها رسالتك • لذا أخشى من جراء ما ضنت به عليّ ، ان تبخل عليك بعواطفها بالرغم مما تبديه انت نحوها من مودة • واذا اردت ان تستولي على قلبها فلن تفلح ان عاملتها باللين ، لان عنادها في الحقيقة أصلب من الحديد•

بروتيو : كيف لم تنطق بكلمة ؟

ديليجنس : انها لم تقل لي حتى : خذ هذا لقاء خدمتك • بينما انت ، برهانا على سخائك ، اعطيتني ستة فلوس ، وأنا لك من الشاكرين • عليك من الان وصاعدا ان تسلمها انت مكاتيبك يدا بيد • وما عليّ انا الا ان أوصي معلمي بك خيرا ، يا سيدي •

بروتيو : اذهب بسرعة ، وأنقذ من الغرق سفينتك الراحلة ، لانها لن تهلك اذا كنت على متنها • اما موتك فسيكون أشنع ، اذا

بقيت على الارض اليابسة • ثم عليّ ان ارسل تحريرا يليق بالمقام • وأخشى ان تزدري جوليا بأشعاري ان وصلتها على يد رسول نظيرك ليس اهلا للثقة •

(يخرجان)

المشهد الثاني

مدينة فيرونا ـ في حديقة منزل جوليا

(تدخل جوليا ومعها لوسيا)

جوليا : ما قولكِ يا لوسيا الان ونحن وحدنا ؟ هل تنصحينني بأن أصغي الى نداء الحب ؟

لوسيا : نعم يا سيدتي • شرط ان لا تخرّي صريعة سهامه •

جوليا : من بين جميع الوجهاء الذين يغازلونني بالكلام المعسول كل يوم ، من هو في نظرك أكمل العشاق ؟

لوسيا : تفضلي وكرري اسماءهم على مسمعي ، فأصارحك برأيي بدون مواربة •

جوليا : كيف تجدين السيد اكلامور ، البهي الطلعة ؟

لوسيا : هو فارس لبق الحديث انيق لطيف • غير اني لو كنت في

محلك لما وقع عليه اختياري مطلقا .

جوليا : وما رأيك بالغني مركوتيو ؟

لوسيا : ثروته لا بأس بها ، انما شخصيته لا تعجبني .

جوليا : وما قولك بالظريف بروتيو ؟

لوسيا : ربّاه ! كم تسيطر الحماقة علينا احيانا !

جوليا : ما معنى تلميحك الغريب هذا ؟

لوسيا : سامحيني ، يا سيدتي . معاذ الله ان ألفظ ، انا المخلوقة الوضيعة ، أية ملاحظة بحق احد هؤلاء الوجهاء .

جوليا : ولماذا استثنيت بروتيو من الجماعة ؟

لوسيا : لاني من بين كل الصالحين أعتقد انه افضلهم .

جوليا : وماذا يدعوك الى هذا الاعتقاد ؟

لوسيا : ليس من سبب الا منطق حواء . فأنا أعتقد ما أعتقد بكل عفوية ونزاهة .

جوليا : وتودّين ان أرسي عليه اختياري وآخصه بمحبتي .

لوسيا : أجل ، اذا كنت تؤمنين بأن حبك لن يذهب أدراج الرياح.

جوليا : في الحقيقة ، هو الوحيد الذي يلح عليّ أقل من سواه .

لوسيا : لانه ، على ما ارى ، هو وحده الذي يهواك اكثر منهم جميعا .

جوليا : لكن تصريحاته النادرة تدل على ضآلة تعلّقه بي .

لوسيا : لا تنسي ان النار المتأججة تكوي بحرارة متلفة .

جوليا : انما من لا يظهر عواطفه لا يهوى ابدا .

لوسيا : صدقيني ، ان من يبالغ في طرح غرامه يحب أقل من سواه •

جوليا : كم أود ان اعرف فكره !

لوسيا (وهي تسلمها مغلفا) : اطّلعي اذاً على هذه الرسالة ، يا سيدتي ، فتنبئك بما تحبذين •

جوليا (تقرأ) : «الى جوليا» • قولي لي من هو صاحبها ؟

لوسيا : من المضمون تعرفين المرسل •

جوليا : بربك ، من سلمك اياها ؟

لوسيا : غلام السيد فالنتينو ، من قبل بروتيو ، على ما أعتقد • وكان بوده هو ان يسلمك اياها • لكنه رآني في الطريق فحمّلنيها لأوصلها اليك • فأرجوك ان تسامحيني على تسرعي •

جوليا : انت حقا وسيطة غير جديرة بالثقة ، لانك لم تترددي في قبولك هذه الاسطر الغزلية ، وفي تآمرك خفية على مستقبل شبابي • لعمري ، هذه مهمة وافرة الربح ، تدل على انك عميلة ممتازة • هيا خذي هذه الرسالة وابذلي جهدك لردها بأقرب وقت ، وإلا طردتك وأقصيتك الى الابد عن خدمتي •

لوسيا : أعتقد بأن الدفاع عن الحب يستحق اجرا غير الحقد والاحتقار •

جوليا : أتريدين ان تذهبي ؟

لوسيا : لأدعك تفكرين بالامر مليا ؟ (تخرج) •

جوليا : هذا لا يهمني • انما كان الانسب ان ألقي نظرة على هذه الرسالة • لكن من العيب ان اناديها الان وأرجوهـا ان تطلعني على ما سبّب لها تعنيفي لانها استلمت هذه الاسطر دون اذني • تباً لها من حمقاء ! هي تعلم اني صبية نظـير سائر الصبايا • فلماذا لم تلح على اطلاعي على مضمـون الرسالة ؟ ان الفتاة ترفض بعض العروض حياء ، بينما هي تضمر قبولها • ويحا لهذا الحب النزق العنيد ، انه كالطفل الذي يخدش وجنة امه وهو يقبّلها بلهفة • لماذا أنّبتُ لوسيا بقسوة ؟ وكان عليّ ان أستميلها • كـم تصنّعتُ التظاهر بالغضب ، وقلبي يرقص طربا بين حنايا ضلوعي ! فتعويضا عن توبيخي اياها سأناديها وأعتذر لها عن سـوء تصرّفي • تعالي يا لوسيا •

لوسيا : بماذا تأمر سيدتي الجليلة ؟

جوليا : هل حان وقت الغداء ؟

لوسيا (وهي تنحني كأنها تلمّ شيئا عن الارض) : أود ان يحين ، لكي يهدأ بالك على طعامك ، لا على خادمتك •

جوليا : ماذا لممتِ عن الارض بهذه الخفة ؟

لوسيا : لا شيء •

جوليا : لماذا اذاً انحنيتِ ؟

لوسيا : لألتقط ورقة •

جوليا : وهل هي هكذا هامة ؟

لوسيا : هي لا تخصني •
جوليا : اذاً ، عليك ان تتركيها حيث كانت •
لوسيا : لا أظن ان فيها ما يستدعي الكتمان •
جوليا : لا بد من ان يكون مصدرها عاشق متيّم ضمّنها نواعج فؤاده بكلام رقيق •
لوسيا : لكي يتسنى لي انشاده ، هات لحنا مناسبا ، ما دمتِ تجيدين التنغيم •
جوليا : على قدر الامكان • يمكنك ان تغنّيه على أي نغم يعجبك •
لوسيا : الكلمات عويصة المعاني ، ويقتضيها نغم يليق بها •
جوليا : مهما كانت عويصة ، لا بد من ايجاد لحن ينطبق عليها •
لوسيا : وهذا اللحن يجب ان يكون رخيما اذا اردتِ ان تغنيه انت بنفسك •
جوليا : ولماذا لا تنشدينه انت بصوتك الجميل ؟
لوسيا : انا لا أجيد غناء مثل هذه الكلمات العاطفية •
جوليا : اسمعي ما يجول في خاطري • (تأخذ الورقة وتدمدم) • ما رأيك بهذا النغم يا عزيزتي ؟
لوسيا : تابعيه حتى النهاية • مع ذلك اسمحي لي بأن أصارحك بأنه لا يروق لي كثيرا •
جوليا : ألا يعجبك ؟
لوسيا : كلا ، يا سيدتي ، هو مرتفع الطبقة جدا •
جوليا : انت في غاية الجسارة ، يا فتاة •

لوسيا : وهذا التعبير من مستوى منخفض جدا • لقـــد غيَّرتِ السلَّم فجأة ، بينما لا بد من المحافظة على الوحدة ليستقيم الانشاد •

جوليا : كيف استطيع ذلك عندما تباشرين انت بمثل هذا العلوّ ؟

لوسيا : انا لا ارفع صوتي الا للدفاع عنك • آه ! اين انت يـــا بروتيو ؟

جوليا : لا أريد ان يزعجني احد بمثل هذه الثرثرة • اليك قراري النهائي في موضوع الرسالة • (تمزق الرسالة) • اذهبي وانثري هذه القطع وبعثريها في الفضاء • وان احتفظتِ بها سأسخط عليك •

لوسيا (على حدة) : ها هي الآن تتظاهر بالاستياء ، ولكنها ستطـــرب حتما لوصول رسالة ثانية مثلها • (تخرج) •

جوليا : لا سمح الله ان أسخط بسبب هذه الرسالة • ما أغبانـــي لكوني مزقت هذه الاسطر الرقيقة ، وما أعقّني كحشرة طائشة تتذوق العسل ولا تتورع عن لسع النحلة التـــي انتجته • (تلمّ بعض قطع الرسالة) • وللتعويض عن غلطتي أود ان أقبّل هذه القطع • فعلى هذه مكتوب : «عزيزتي جوليا» • قبحا لك من جاهلة غبية، يا جوليا • فلمعاقبتي على تسرّعي سأدوس اسمي وأسحقه بقدمي ازدراء واحتقارا (ترمي القطع الى الارض) • وعلى تلك مكتوب «بروتيو جريح سهام الحب» • يا لك من اسم عذب أضناه الشقاء•

سأجعل له من صدري مقاما يرتاح اليه حتى يشفى تماما. دعني أضمد جرحك بقبلة كالبلسم (تقبّل القطعة وتضمها الى صدرها) . وهذا اسم بروتيو مكتوب مرتين او ثلاثة . اهدإي ايتها الرياح ، ولا تبددي حرفا من هذه الرسالة . سأحتفظ بكل ألفاظها الحلوة ، ما عدا اسمي انا الذي لا أبالي ان حمله الإعصار وهشمه على صخرة ناتئة ، ثم ابتلعته لجج البحر الهائج . وها هوذا اسمه يتردد في عبارتين : «المسكين بروتيو المهجور» ، ثم «بروتيو المشتاق الـــى فاتنته جوليا» . اما اسمي انا فسأمزقه اربا اربا . لكن لا، انه ينسجم برقّة مع اسم عاشقي الشاكي. سأضمهما الواحد الى الآخر هكذا وأدعهما يتعانقـــــان ويتبادلان القبل ، ويتناجيان كما يحلو لهما .

(تعود لوسيا)

لوسيا : الغداء جاهز ، يا سيدتي ، ووالدك ينتظر .

جوليا : هيا بنا اذاً .

لوسيا : هل تتركين هذه الاوراق المورّطة هنا ؟

جوليا : اذا شئت اخفاءها ، خذيها معك .

لوسيا : لقد أنّبتني على استلامها ، فيجب ان لا تظل هنا تحت نظر أي كان .

جوليا : اراك كثيرة الاهتمام بها .

لوسيا : نعم ، يا سيدتي . لكِ ان تقولي ما تشائين ، وأنا كذلك.

فأرجوك ان تصدقيني بدون ان يتطرق أي شك الى قلبك.

جوليا : هيا بنا . ألا تودّين الذهاب ؟

المشهد الثالث

مدينة فيرونا ـ في منزل انطونيو

(يدخل انطونيو وبنتينو)

انطونيو : قل لي ، يا بنتينو ، ما هذا الحديث الجدّي الذي وجّهه اليك اخي اثناء خلوتكما ؟

بنتينو : كان كلامه يدور حول ابنك بروتيو .

انطونيو : وماذا قال عنه ؟

بنتينو : لقد تعجّب ، يا سيدي ، كيف تركته يبدد شبابه هنا ، بينما غيره من الناس الذين لا يقدّرون العواقب مثلك ، يدعون ابناءهم يبحثون عن مهنة : البعض في الحرب ابتغاء جمع المال ، والبعض الآخر في الاكتشافات المثمرة او في متابعة دروسهم في الجامعة . وكان يؤكد ان ولدك بروتيــــو يستطيع تجربة جميع هذه الوسائل ، ويلح عليّ كــي لا اتركك تفسح له المجال لتضييع وقته هنا اكثر مما فعل ، ما دام ذلك يعود عليه بالضرر من جراء عدم قيامه بأية رحلة

في شبابه .

انطونيو انت لست بحاجة الى الالحاح عليّ في هذا الموضوع لان هذه القضية تشغل بالي منذ شهر تقريبا . لقد قلت في نفسي انه اذا بقي على ما هو سيضيع وقته ، وانه لن يصبح رجلا قديرا الا اذا أقبل على مدرسة الحياة . فالخبرة تكتسب بالممارسة وتكتمل مع الزمن الذي يمر مسرعا . والآن عليّ ان ارسله .

بنتينو : سيادتك لا تجهل ان رفيقه الشاب فالنتينو ملحق في بلاط الامبراطور .

انطونيو : أعرف ذلك جيدا .

بنتينو : ومن المستحسن ، على ما أعتقد ، ان ترسله هو ايضا الى هناك حيث يزداد خبرة في أصول المعاملات الرسمية ، اذ يستمع الى لغة راقية ويعاشر كبار الشخصيات ، وتكون في متناول يده شتى المعلومات التي تليق بشبابه ونبل محتده .

انطونيو : انا اشكرك على نصيحتك لانها وليدة تفكيرك المصيب . ولكي ترى كم أقدّر حكمتها سأنفذها فورا ، وبأقصى السرعة سأرسل بروتيو الى البلاط الامبراطوري .

بنتينو : غدا ، اذا شئت . اذ دون ألفونسو وغيره من الوجهاء المعروفين سيذهبون لتحية الامبراطور ولوضع خدماتهم

تحت تصرفه .

(يدخل بروتيو ، وهو يقرأ رسالة ، ولا يرى انطونيو ولا بنتينو)

بروتيو : ما احلى الحب ، ما أفسح الامل ، ما أبهج الحياة ! ها هو لسانه ينوب عن قلبه ، وها هيذا وعود هيامه تبرز كعربون ولائه . كم أود ان يكون باستطاعة آبائنا ان يحبّذوا ويباركوا غرامنا ، فيوطدوا سعادتنا بموافقتهم . اين انتِ ، يا جوليا ، يا ملاكي ؟

انطونيو (لبروتيو بخشونة) : ما هذه الرسالة التي تقرأها ؟

بروتيو (بارتباك) : لا تقلق ، يا سيدي . هي كلمة تذكار ارسلها الـي فالنتينو بواسطة صديق قادم من قبله .

انطونيو : ناولني اياها ، لكي أطّلع على ما فيها من أخبار .

بروتيو : ليس فيها من انباء ، يا سيدي . هو يطمئنني بأنه يعيش سعيدا محبوبا مغمورا بهبات الامبراطور، ويتمنى ان اكون بقربه لأشاركه هناءه .

انطونيو : وكيف وقع هذا التمنّي عليك ؟

بروتيو : نظير من يستسلم لمشيئة مولاه ، وهو رهن اكتساب رضاه .

انطونيو : ان أمنيتي تنطبق على رغبته . مع ذلك لا تتصور انه استعجلني في اتخاذ قراري . فان ما اقصده ، انا الذي أريده وكفى . ولقد قررت ان تقضي انت بعض الوقت بصحبة فالنتينو في بلاط الامبراطور ، والمال الذي تؤمّنه

له أسرته سأخصك بمثله لاجل مصاريفك • فكن جاهـزا للرحيل غدا • ولن أسامحك ان خالفت مشيئتي ، فأمري مبرم ولا قبل بأن تتلكأ في تنفيذه •

بروتيو : يا مولاي ، لا يسعني ان اكون جاهزا بالسرعة التي تفرضها عليّ • أتوسل اليك ان تمنحني مهلة يوم او يومين •

انطونيو : اسمع ، سأرسل لك فيما بعد ما تحتاج اليـــه • غدا سترحل حتما • هيا ، يا بنتينو ، اهتم بتعجيل الاستعداد للسفر (يخرج انطونيو وبنتينو) •

بروتيو : هكذا اتّقيت لهب النار خشية الاحتراق ، وارتميت فـي البحر لأغرق فيه همومي • لم اشأ ان اطلع ابي علـى رسالة جوليا خوفا من معارضته حبي ، واتخاذ هذه الحجة التي أتذرّع بها ، وسيلة للحيلولة دون تحقيق حلمي • ما أشبه ربيع هذا الحب في زهوه العابر بيوم من شهر نيسان يسطع فيه نور الشمس ، وقد اخـــذ الان يحتجب وراء السحاب !

(يعود بنتينو)

بنتينو : يا مولاي بروتيو ، والدك يناديك ، وهو مستعجل • فأرجوك ان توافيه حالا •

بروتيو : أجل ، سأوافيه • مع ان قلبي المشتاق يحرضني الف مرة على الامتناع (يخرجان) •

الفصل الثاني

المشهد الاول

ميلانو ــ في قصر الدوق

(يدخل فالنتينو وديليجنس)

ديليجنس : أهذا قفازك ؟

فالنتينو : لا ، ليس لي ، لان قفازي في يدي .

ديليجنس : هو ليس لك اذاً . مع انه قفاز مماثل للذي تلبسه .

فالنتينو (يتناول القفاز) : أرني اياه . بلى ، بلى ، بلى هو لي ، وسأحتفظ به . هو مستلزم أنيق يزين يدا ناعمة . ما أعذبك ، يـــا سيلفيا !

ديليجنس (يصرخ) : سيدتي سيلفيا ، يا سيدتي سيلفيا .

فالنتينو : ماذا تريد ، يا غبي ؟
ديليجنس : هي بعيدة لا يمكنها ان تسمعني .
فالنتينو : ومن طلب منك ان تناديها ؟
ديليجنس : سيادتك . هل انا مخطىء ؟
فالنتينو : انت دائم الزوغان .
ديليجنس : دائما نصيبي الملامة بسبب اخلاصي .
فالنتينو : هل تعرف السيدة سيلفيا ؟
ديليجنس : التي تحبها ، يا سيدي ؟
فالنتينو : وكيف علمت بأني أهواها ؟
ديليجنس : لعمري ، ان الدلائل ظاهرة ، لا تخفى على احد . أولا ، لأن موقفك ، يا مولاي بروتيو ، هو موقف الرجل المحتار . ثم لانك تنشد لحنا حزينا كنغم العندليب الكئيب ، وتتنزه وحدك كالمصاب بالبرص ، وتتنهد كتلميذ أضاع كتابه ، وتبكي نظير فتاة دفنت جدتها ، وتصوم كمن فرضت عليه الحمية القاسية ، وتسهر كمن يخشى السرقة ، وأخيرا تتوسل كمتسوّل في ليلة العيد . في الماضي ، عندما كنت تضحك كان صوتك اعلى من صياح الديك ، وعندما تمشي كنت تكرّ كالاسد ، وعندما تصوم كنت توقّت ذلك دوما بعد العشاء ، وعندما تبدو كئيبا كان ذلك بسبب افتقارك الى المال . والآن اراك تغيرت بسبب هجران حبيبتك الى درجة اني عندما انظر اليك يصعب عليّ

التصديق انك معلمي •

فالنتينو : أوتلاحظ عليّ كل هذه التبدلات ؟

ديليجنس : أجل ، كلها تظهر على سيدي •

فالنتينو : عليّ انا ؟ هذا مستحيل •

ديليجنس : أجل ، أجل ، وفي جميع حركاتك • اذ من المؤكد ان لا يتّسم احد ، بنفس البساطة • لان هذه المظاهر الغريبة لا تبدو على سيدي الا لانها تتصاعد من أعماق صدره وتبرز من خلال شخصه كما تتلألأ مياه الساقية• وعندما تقع عليها العين تستشفّ ما يكمن خلفها من روعة كما يكتشف الطبيب الماهر علة مريضه من نظرة واحدة •

فالنتينو : ولكن ، قل لي هل تعرف السيدة سيلفيا ؟

ديليجنس : التي تأملتها طويلا اثناء العشاء ؟

فالنتينو : هل لاحظت ذلك ؟ أجل هي بعينها •

ديليجنس : انا لا اعرفها •

فالنتينو : كيف اذاً رأيتني انظر اليها وأنت لا تعرفها ؟

ديليجنس : أوليست هي الصبية الناعمة الجذابة ، يا سيدي ؟

فالنتينو : أجل ، يا غبي • ان نعومتها تفوق جمالها •

ديليجنس : انا لا أعرف هذا ، يا سيدي •

فالنتينو : تباً لك من احمق ! وماذا تعرف ؟

ديليجنس : انك تخلع عليها مزايا لا تضاهيها اية خصال •

فالنتينو : أعني ان بهاءها رائع ، وأن خُلقها لا يفي به وصف •

ديليجنس : الامر الاول خاضع للرسم ، والثاني لا يحصره كلام •

فالنتينو : كيف يُرسم وكيف لا يوصف ؟

ديليجنس : أعني انه يُرسم لإبراز محاسنها ، وان لا احد من الرجال يتوصل الى تقديره حق قدره •

فالنتينو : من تظنني ؟ اني أعلّق أهمية كبيرة على جمالها •

ديليجنس : انت لم تبصرها منذ تبدلها •

فالنتينو : ومتى تغيرت ؟

ديليجنس : منذ وقوعك في هواها •

فالنتينو : لقد احببتها من اول نظرة •

ديليجنس : اذا كنت مغرما بها ، فلا يسعك ان تشاهدها •

فالنتينو : لماذا ؟

ديليجنس : لان عين المحب كليلة • آه ! لو رأيتها بعينيّ ، لو ابصرتها في النور الذي غمرها حين لمت مولاي بروتيو على خروجه بدون ربطة ساق •

فالنتينو : وماذا كنت رأيت ؟

ديليجنس : لأبصرت هوسك انت وقباحتها هي • عندما كان مولاي بروتيو عاشقا ، لم يكن يدري كيف يربط سير حذائه • اما انت فمنذ ان وقعت في حبائل هواها ، لم تعد تعرف كيف تلبس نعليك •

فالنتينو : بلغني انك مغرم يا فتى • وصباح الامس لم تعرف كيف تمسح حذائي •

ديليجنس : هذا صحيح ، يا سيدي • فأنا مولع بالرقاد في السرير • اشكرك على تلميحك الى هيامي هذا ، لانه يشجعني على تنبيهك الى ما يعنيك •

فالنتينو : بالاختصار ، انا احفظ لها في الواقع مودة صافية نزيهة •

ديليجنس : عندما تشفى من غرامك بها ستتبدد مودتك •

فالنتينو : مساء الامس ، طلبت مني ان أنظم لها بعض أشعار موجهة الى شخص تحبه •

ديليجنس : وهل لبيت طلبها ؟

فالنتينو : نعم •

ديليجنس : فنظمتها كيفما جاءت •

فالنتينو : كلا ، يا سيدي • لقد بذلت اقصى جهدي لتأتي افضل ما يستطاع • ها هي الان مقبلة •

(تدخل سيلفيا)

ديليجنس (على حدة) : يا للمهزلة ! يا للتهريج ! ترى كيف يعبر لها عن شعوره ؟

فالنتينو : نهارك سعيد الف مرة ، يا سيدي •

ديليجنس (على حدة) : المطلوب ان تتمنى لنا ليلة سعيدة واحدة • فما بالك تجود بالملايين •

سيلفيا : يا مولاي فالنتينو ، وأنت يا خادمي الامين ، عليكما مني الف سلام •

ديليجنس (على حدة) : عليه هو ان يدفع الفائدة ، وعليها هي ان تسدد

رأس المال .

فالنتينو (يسلم سيلفيا ورقة) : كما طلبت مني ، كتبت لك الرسالة الموجهة الى صديقك المجهول الذي لم تذكري لي اسمه . ولولا رغبتي في ارضائك لرفضت القيام بالمهمة .

سيلفيا (تفحص الورقة) : اشكرك ايها الشاب اللطيف ، لقد اجدت كأنك شاعر عبقري .

فالنتينو : صدقيني ، يا سيدتي ، ان قلت لك ان مديحك في غير محله . بما اني أجهل الى من توجهين هذه الابيات ، فقد نظمتها بدون تحديد ولا تدقيق .

سيلفيا : وهل تطلّب عملك عناء كبيرا ؟

فالنتينو : كلا ، يا سيدتي ، ما دام ذلك يسرك . انت مريني فأنظم لك أضعاف ما سطّرته . ومع ذلك ...

سيلفيا : كلام جميل . نعم ، وأنا أتوقع الباقي . مع ذلك ، لا أجسر على قوله . ومع ذلك انا لا أهتم للامر . مع ذلك ، راجع هذا . (تعطيه الرسالة) ومع ذلك ، اشكرك ، لانني مصممة على عدم ازعاجك بعد الان .

ديليجنس (على حدة) :مع ذلك ، نعم . مع ذلك ، مع ذلك ، تكررها مرارا عديدة .

فالنتينو (وهو يلاحظ حركة سيلفيا) : ماذا تقول سيدتي ؟ أوليست راضية ؟

سيلفيا : أجل ، الاشعار في غاية الابداع . ولكن بما انك أكرهت

على نظمها ، عليك ان تسترجعها • نعم ، خذها •

فالنتينو (يقبل الورقة) : ولكنها لكِ ، يا سيدتي •

سيلفيا : نعم ، نعم • انت نظمتها نزولا عند طلبي • ولكني لا أريدها• فهي لك ، لاني كنت ارغبها بأسلوب عاطفي اكثر حنانا •

فالنتينو : اذا شئت ، يا سيدتي ، كتبت لك غيرها •

سيلفيا : وعندما تفرغ من نظمها اقرأها عني • ان اعجبتك فليكن ، وان لم تعجبك فليكن كذلك •

فالنتينو : ان اعجبتني ، يا سيدتي ، فليكن ماذا ؟

سيلفيا : ان اعجبتك احتفظ بها مكافأة على جهدك • والآن أتمنى لك ليلة سعيدة ايها الخادم الامين • (تخرج مسرعة) •

ديليجنس (على حدة) : يا للسخرية المضمرة ، ولكنها مع ذلك بارزة كالأنف في منتصف الوجه ، او كدولاب الهواء في أعلى البرج • ان سيدي يتألم بسببها ، وهي ، كأستاذ ماهر ، تعلّم المبتدئين كيف يصبحون عباقرة • يا للعمل الممتاز الذي لم يسمع احد بأجود منه ! ان معلمي الذي يعتبر نابغة يكتب لنفسه •

فالنتينو (للخادم) : علامَ اذاً يرتكز حكمك هذا ، يا سيدي ؟

ديليجنس : انا لا أهتم الا بالقوافي • الحق معك •

فالنتينو : لماذا ؟

ديليجنس : لانك تكتب بالنيابة عن السيدة سيلفيا •

فالنتينو : على لسان من ؟

ديليجنس : على لسانك انت . مع العلم ان تصريحها مقلوب رأساً على عقب .

فالنتينو : أي تصريح ؟

ديليجنس : طبعا الوارد في الرسالة .

فالنتينو : هي لم تكتب لي مطلقا .

ديليجنس : وما حاجتها الى ذلك ، بما انها جعلتك تكتب لنفسك ؟ أولم تعِ المهزلة ؟

فالنتينو : كلا ، صدّقني .

ديليجنس : هذا حقا غير معقول ، يا سيدي . أولم تشاهد كل ما اظهرته من فن التمويه ؟

فالنتينو : انها ، على سبيل المكافأة ، لم توجه اليّ سوى اللوم .

ديليجنس : ماذا تقول ؟ هل سلمتك الرسالة ؟

فالنتينو : الرسالة التي كتبتها انا الى صديقها ؟

ديليجنس : هذه الرسالة قد استلمها صاحبها وانتهى الامر .

فالنتينو : ارجو ان لا يجد ما يزعجه في هذا الموضوع .

ديليجنس : أؤكد لك ما اقوله (يعلن) : لانك كتبت له مرارا وتكرارا، لم يستطع ان يرد ، سواء من قبيل التواضع او ضيق الوقت، او خشية ان تكشف الرسالة سرها . لذلك طلبت الكتابة الى عاشقها بواسطة عاشقها ذاته . ان كل ما أشير اليه هنا هو المكتوب ، لاني ادركت مضمونه بوضوح . ولكن ، بماذا تفكر ، يا سيدي ؟ لقد حان وقت الغداء .

فالنتينو : انا تغديت .

ديليجنس : حسنا . لكن اسمع ، يا سيدي . مهما استطاعت حرباء الحب ان تعيش من الهواء فقط ، فأنا من الذين يتغذون بالاطعمة ، وسأتناول بطيبة خاطر اطيب المآكل . لا تكن نظير معلمتك . لا تقاوم ، ارجوك ان لا تقاوم (يخرجان).

المشهد الثاني

مدينة فيرونا ــ في منزل جوليا

(يدخل بروتيو تتبعه جوليا)

بروتيو : صبرا ، يا عزيزتي جوليا .

جوليا : لا سبيل الى غير ذلك طالما لا يوجد أي حل آخر .

بروتيو : سأعود حالما يتيسر لي الرجوع .

جوليا : اذا لم يؤخرك مانع ، ستعود في وقت مبكر . فاحتفظ بهذا التذكار اكراما لعزيزتك جوليا .

(تعطيه خاتما)

بروتيو (يأخذ الخاتم ويعطي جوليا خاتما آخر) : سنتبادل هذه الخواتم . خذي انتِ هذا .

جوليا : ولنوطد اتفاقنا بقبلة بريئة (يتعانقان) •

بروتيو : هاك يدي عربون ارتباطي الدائم بك • واذا تركت ساعة اليوم تفلت مني بدون ان أفكر فيك ، يا عزيزتي جولي فليحل بي عقاب صارم تكفيرا عن اهمالي حبك• ان والد ينتظرني ، فلا تحرجيني • هذا وقت ركوب البحر لا ذر الدموع • أيقني بأني سأوثق ارتباطي بك مدى العمر وداعا يا جوليا (تخرج جوليا بعجلة) كيف ذهبت بدون تنبس ببنت شفة ؟ لعمري ، هذا هو الحب الصادق الذ لا يحيجها الى المزيد من الكلام ، لان أمانتها تمتاز بالاف أكثر من الاقوال •

(يدخل بنتينو)

بنتينو : مولاي بروتيو ، ان هناك من ينتظرك •

بروتيو : انا آت • من المؤسف ان يلوذ العشاق المساكين بالصـ الرهيب (يخرجان) •

المشهد الثالث

ساحة فيرونا

(يدخل لنسيو وهو يجر كلبا مربوطا بسير من الجلد)

لنسيو : ستنقضي ساعة أخرى قبل ان أكف عن البكاء • كل أفر

عائلة لنسيو تطغى عليهم هذه النقيصة • وأنا نلت نصيبي مثل سائر ذويّ ، وسأذهب مع مولاي بروتيو الى البلاط الامبراطوري • أظن ان كلبي البليد هو قليل الحساسية بين بني جنسه • أمي كانت تبكي ، وأبي يشهق ، وأخي يعول ، وجميع اهل البيت يشكون من هذه العلّة • وهذا الكلب لم يذرف دمعة واحدة • انه من الحجر بل هـــو صخرة صمّاء ، ولا تخالجه أية عاطفة شفقة • لقد بكى الكثيرون على فراقي ، حتى جدتي التي فقدت بصرها بكت على رحيلي حتى عميت ، وسأريكم كيف • هذا الحذاء هو والدي • كلا ، فالفردة اليسرى هي والدي • كلا ثم كلا• ما هذا الهذيان ؟ لو كان الامر كذلك لكان نعله مثقوبا ، وهذا الخفّ المثقوب هو والدتي ، وذاك هو والدي • اني أستحق اللعنة ان كانت المسألة هكذا • والآن ، يا سيدي، هذه العصا هي أختي • اذ انها أشد بياضا من الزنبــق وأنحف من عود الورد ، وهذه القبعة هي خادمتنا نانيتا • انا كلب • لا ، الكلب حيوان ، بل انا كلب • أجل ، الكلب هو انا لا غيري ، أجل ، أجل • وإلا اتجهت الى والدي بقولي : ألتمس صفحك ، يا ابي • لكن الحذاء لن ينطق بكلمة واحدة • حسن • هو يبكي اكثر من قبل • والآن أتوجه الى أمي • آه ! لو كانت تستطيع الكلام ! لكنهــا عاجزة • يجدر بي ان أقبّلها وأستسمحها • هذه فعـــلا

زفراتها اللاهثة تلامس خدّي . والآن أتوجه الى آختي ، وأنا أسمع تنهداتها . فالكلب لم يذرف دمعة ، ولم ينطق بكلمة طوال هذه الفترة . حقا ، ما هذا الهذيان ؟ اما انا، فانظروا اليّ كيف اسقي تراب الارض بدموعي (يشهق بالبكاء) .

(يدخل بنتينو)

بنتينو : الى الامام ، يا لنسيو ، الى الامام . إصعد الى السفينة ، فمعلمك قد سبقك اليها ، وعليك ان تلحق به مهما كلف الامر . ماذا جرى ؟ لماذا تبكي ، يا هذا ؟ الى الامام ، يا حمار . سيفوتك ركوب البحر ، اذا تأخرت اكثر مما فعلت الى الان .

لنسيو : لا يهمني امر السفر ، اذا فاتني . لانه غير مستحب ، ولا اجد أشق منه .

بنتينو : ماذا تريد ان تقول ؟ السفر غير مستحب ؟

لنسيو : أجل ، والله . ان المضطر الى الرحيل هو كلبي الغبي .

بنتينو : يحزنني ان أحذرك ، يا صديقي ، من صخب الموج الذي سيُنزل بك خسارة جسيمة ، اذ ستفلت من يدك فرصة السفر ، وبفواتها ستفقد معلمك ، وتخسر عملك في خدمته . وبضياع عملك ... لماذا تسد فمي ؟

لنسيو : لكي لا تذهب كلماتك أدراج الرياح .

بنتينو : ولماذا تضيع كلماتي ؟

لنسيو : لتفوّهك بهذا الهذيان العقيم •

بنتينو : انا لا اعرف شاطئا امينا •

لنسيو : أأنا يفوتني سفري ومعلمي وعملي ، وهذا الوضع ايضا ؟
انت لا تعرف اذاً يا صديقي ان البحر لو كان جافا لملأت هوّته بدموعي ، ولو لم تهبّ الرياح عليه لدفعت السفينة بقوة زفراتي •

بنتينو : هيا نذهب ، يا صديقي ، فأنا مكلف باصطحابك •

لنسيو : تصرّف على هواك •

بنتينو : هل تريد مرافقتي ؟

لنسيو : حسنا • هيا بنا •

المشهد الرابع

ميلانو ـ في قصر الدوق

(يدخل فالنتينو ترافقه سيلفيا وتوريو وديليجنس)

سيلفيا : يا غلام •

فالنتينو : سيدتي •

ديليجنس (بصوت خافت لفالنتينو) : مولاي ، سيدي توريو ينظر اليك

شذرا .

فالنتينو (بصوت خافت لديليجنس) : يا بنيّ ، ها هنا يتجلى الحب بأبهى مظاهره .

ديليجنس (بصوت خافت لفالنتينو) : ليس لي .

فالنتينو (بصوت خافت لديليجنس) : اذاً لسيدتي .

ديليجنس (بصوت خافت لفالنتينو) : الأولى بك ان تهمله .

سيلفيا (لفالنتينو) : ما لك كئيب ، ايها الخادم الحزين ؟

فالنتينو : أحقا ، يا سيدتي ، يبدو الحزن عليّ ؟

توريو : وهل يظهر عليك ما ليس فيك ؟

فالنتينو : ربما .

توريو : هكذا تبدو سحنتك مقلوبة .

فالنتينو : مثلك تماما .

توريو : بماذا أظهر على غير حقيقتي ؟

فالنتينو : بقلة المشاعر .

توريو : وأي دليل لديك على ذلك ؟

فالنتينو : هوسك .

توريو : وأين اكتشفته ؟

فالنتينو : في بحثك عن سترتك .

توريو : ان سترتي برهان قاطع على سلامة ذوقي .

فالنتينو : بل هي دليل صارخ على انحراف ذوقك .

توريو (غاضبا) : كيف ؟

سيلفيا : هل بلغنا حد الغضب ، يا مولاي توريو ؟ هل تغيرت طباعك الهادئة ؟

فالنتينو : دعيه يتصرف كما يشاء ، يا سيدتي • فهو متلوّن كالحرباء•

توريو (على حدة) : من الذي ينوي ان يشرب من دمك اكثر من ان يهضم لهجتك المتغطرسة ؟

فالنتينو : ماذا تقول ، يا مغفّل ؟

توريو : لا شيء ، يا سيدي ، وقد قضي الامر هذه المرة •

فالنتينو : انا أعرف ، يا سيدتي ، انك تنتهين دائما قبل ان تبدإي •

سيلفيا : انا ارى ، يا سادة ، ان هذه ليست سوى فورة كلام لا تلبث ان تهمد •

فالنتينو : هذا صحيح ، يا سيدتي • فشكرا لصاحب هذه الدعابة •

سيلفيا : من منكما يروّج المهزلة ؟

فالنتينو : انت نفسك ، يا سيدتي • لانك أذكيت نارهـــا وحمّيت أوارها • ومولاي توريو يستمد الحماس من فتنة نظراتك، يا مولاتي ، وأثناء حضورك يستهلك ما يستعيره من كرم منقطع النظير •

توريو : لو كنت تنقدني كلمة بكلمة ، يا سيدي ، لكنت شهدت عاجلا افلاس مواهبك •

فالنتينو : انا اعلم ، يا سيدي ، انـــك تختزن ثروة من الحديث

المبتذل وأعتقد بأنك لا تملك سوى هذه العملة الزائفة تجود بها على الناس • وها هي ملابسهم الرثة المهلهلة أصدق دليل على ما تمنحهم من كلام فارغ رخيص •

سيلفيا : كفى ، يا سادة ، كفى • ها هوذا ابي •

الدوق : ما وراءك يا بنيتي ؟ اراكِ محاطة بأشخاص لا يرتاح المرء اليهم كثيرا • مولاي فالنتينو ، ان والدك يتمتع بصحة جيدة • فكيف تتلقى زيارة صديق يأتيك بأروع الاخبار ؟

فالنتينو : يا مولاي ، انا اشكر رسالتك السعيدة التي تأتيني بها من مصدر حبيب على قلبي •

الدوق : هل تعرف مواطنك دون انطونيو ؟

فالنتينو : أجل ، يا مولاي الكريم ، أعرفه بصفته احد الوجهاء المتازين المقتدرين ، وقد اكتسب سمعته الطيبة عن جدارة واستحقاق •

الدوق : أوليس له من ولد ؟

فالنتينو : أجل ، يا مولاي الكريم • ان له ابنا لا يشذ عن قاعدة الشرف والصيت الحسن الذي ينعم به والده •

الدوق : هل تعرفه جيدا ؟

فالنتينو : أعرفه كما أعرف نفسي • لاننا منذ طفولتنا عشنا سوية وقضينا العمر معا بدون ان نفترق • انا لم اكن سوى كسول ضيعت أوقاتي الثمينة سدى ، بدلا من ان أزود شبابي بالحكمة والكمال ، بينما بروتيو ، وهذا هو اسمه،

كان يكرس اوقاته لاهداف مفيدة نبيلة • فاكتسب حنكة الشيوخ بالرغم من حداثة سنه • وهو ينعم بربيع العمر مقرونا بنضوج التفكير ، وسعة الخبرة ، وبكلمة ، أجده يستحق أضعاف ما أخصه به هنا من مديح ، فهو موهوب خلْقا وخَلقا ، ويتّسم بجميع الصفات الحميدة التي يتسنى لرجل من النخبة ان يتحلى بها •

الدوق : هنيئا له ، يا سيدي ، اذا كان حقا يمتاز بما تنسبه اليه • فالاجدر به ان يكون حبيب امبراطورة من ان يكون مستشار امبراطور • بالاختصار ، ان هذا الرجل قد جاءني مزوّد بتوصية من احد الوجهاء البارزين ، وهو ينوي ان يقضي بعض الوقت هنا • أعتقد بأن هذا النبأ لن يكون سيىء الوقع عليك •

فالنتينو : حقا لو تمنيت حضور شخص الى هنا ، لكان هو دون سواه •

الدوق : خصّيه اذاً بما يليق به من كرم الضيافة • فاليك ، يا سيلفيا ، أوجه كلامي ، واليك ايضا يا مولاي توريو • اما فالنتينو فلست بحاجة الى تحميسه ، وسأرسله اليك حالا •

(يخرج الدوق) •

فالنتينو (لسيلفيا) : هذا احد الوجهاء ، كما سبق وقلت لك • وكان من الممكن ان يرافقني ، لو لم تأسره عيون حبيبته بنظراتها الشفافة الساحرة •

سيلفيا : لا بد من ان تكون قد أطلقت سراحه بشرط ان يظل رهن اشارتها •

فالنتينو : كلا ، انا واثق بأنها لا تزال تحتفظ به سجين هواها •

سيلفيا : لا ، لا • أخشى ان يصاب بالعمى • واذا فقد بصره كيف يتسنى له ان يرى طريقه اليك ؟

فالنتينو : يا سيدتي ، ان للحب عشرين وسيلة ليبصر •

توريو : يقال ان الحب اعمى لا عيون له •

فالنتينو : كي لا يرى العشاق أمثالك ، يا توريو • فالحب يغمض عينيه ، لانه لا يرغب في مشاهدة ما يزعجه •

سيلفيا : كفى ، كفى • ها هوذا الرجل قادم •

(يدخل بروتيو)

فالنتينو : اهلا بك يا بروتيو • أتوسل اليكِ ، يا سيدتي ، ان تبرهني له على انك ترحبين به وتخصّينه بتحية رقيقة •

سيلفيا : ان جدارته هي افضل ضمانة للاحتفاء به هنا ، وهو الذي طالما تمنيت الاجتماع بشخصه •

فالنتينو : أجل هو بعينه ، يا سيدتي الكريمة ، فاسمحي له بأن يكون زميلي في خدمتك •

سيلفيا : خدمتي انا ! هي كلمة مبتذلة بالنسبة الى انسان لبيب نظيره •

بروتيو : كلا ، يا سيدتي الفاضلة ، ان سمجا مثله هو آخر من يستحق نظرة رعاية من امرأة نبيلة من أمثالك •

فالنتينو : دعي عنك الاحتجاج بعدم اللياقة ، واقبليه خادما لك ، يا

سيدتي الجليلة .

بروتيو : سأبذل قصارى جهدي في خدمتك وإرضائك ، يا سيدتي الكريمة .

سيلفيا : ان تنميم واجباته كفيل بتقديره ومكافأته . اهلا بك ايها الصديق في بيت امرأة لا تستحق صحبتك .

بروتيو : لن أبخل حتى بحياتي في سبيل نيل الحظوة في عينيك ، يا سيدتي .

سيلفيا : انا أرحب بك .

بروتيو : انكِ تستحقين كل خير واكرام .

توريو : مولاي والدك يود ان يكلمك ، يا سيدتي .

سيلفيا : انا تحت امره . تعال معي ، يا سيدي توريو . (لبروتيو) مرة اخرى أرحب بك ، يا صاحبي الجديد . سأدعك تتحدث عن أمورك الخاصة فيما بعد . وعندما تنتهي ، آمل ان اسمع ما وراءك من أخبار . (تخرج سيلفيا مع توريو وديليجنس) .

فالنتينو : والآن ، أعلمني كيف حال جميع من غادرتهم هناك .

بروتيو : تركتهم كلهم بصحة جيدة .

فالنتينو : كيف حال زوجتك ؟ هل انت سعيد ، وعلى أتم الاتفاق معها ؟

بروتيو : في الماضي ، كانت قصص حبي تضايقك . وأنا أعلم بأن احاديثي عن الهوى لم تكن لتسرّك .

فالنتينو : آه ! يا بروتيو • لقد تغيرت حياتي تماما منذ حين ، وقاسيت الأمرّين بسبب ازدرائي بهيمنة الحب • فعاقبني ، واحسرتاه ، بفترات حرمان قاسية وبتنهدات مريرة ودموع حارّة وليالي سهاد طويلة وأيام قاتمة تخللتها الآهات الاليمة • أجل ، للانتقام من استهتاري ، طرد الغرام النوم من عيوني الساهرة ، وجعل منها حارسا يقظا على قلبي السقيم • آه يا بروتيو الوفي • ان الحبيب مولى مستبد قوي الشكيمة ، ذلني الى حد جعلني ادرك ان لا عذاب يفوق نفوره ، ولا فرح يعادل رضاه • من الان وصاعدا لا أريد سماع أي حديث عن الغرام • فكلمة محبة تكفيني مهما كانت جافة •

بروتيو : اني اقرأ تعاستك في عيونك التائهة • فهل علتك هي المرأة التي وقفت عمرك على هواها ؟

فالنتينو : هي بعينها • أوليست ملاكا طاهراً ؟

بروتيو : بل هي شيطان رجيم •

فالنتينو : سمّها كما تشاء •

بروتيو : لا أريد ان أتملّقها •

فالنتينو : تملّقني انا اذاً ، ما دام العاشق يطربه الثناء •

بروتيو : عندما كنت مريضا اعطيتني حبوبا خففت آلامي ، وعليّ الان ان أرد لك جميلك •

فالنتينو : حسنا • بيّن لي حقيقتها • وان لم تكن حورية ، إعترف

على الاقل بأنها جميلة وفضيلة كالملاك الطاهر ٠

بروتيو : ما عدا سيدتي ٠

فالنتينو : لا تستثن واحدة ، يا عزيزي ، ان كنت لا تريد ان تهـــزأ بغرامي ٠

بروتيو : أولست محقا باطراء حبيبتي واعتبارها فوق مستوى البشر٠

فالنتينو : أجل ، وأنا أريد ان أساهم في مدحها ، فأرفع حبيبتك الى اعلى مراتب العز والشرف ، لكي تحمل أذيال مليكتـــي وتمنع الارض من اختلاس قبلة من ثوبها الناصع ، وتتباهى بنعمة كريمة كهذه ، وتستعير من زهور الصيف عطرهـــا وتتخذ من قارس برد الشتاء وشاحا واقيا ٠

بروتيو : ماذا تقول ؟ ما هذا الهذيان ؟

فالنتينو : اعذرني يا بروتيو ٠ ان كل ما اقوله لا يعدّ شيئا بالنسبة الى ما تستحقه من اعتبار يجب حجبه عن سواها ممـــن تدهورهم مساوئهم في هوّة العدم ٠ اذ لا ارى فـــي الكون انسانا مثاليا كشخصها المفدّى ٠

بروتيو : اذاً اتركها وشأنها ٠

فالنتينو : كلا ، ولو ملّكوني العالم بأسره ٠ أتدري ، يا عزيزي ، انها تخصني وحدي ؟ وأراني اغنى الاغنياء بامتلاكي مثل هذه الجوهرة الفريدة التي لن تجد نظيرها ولو غصتَ الى أعماق البحور السبعة ، ولو كانت كل حبة من رمالها لؤلؤة، وكل قطرة من مياهها فيها اكسير الحياة ، وصخورهـــا

الشاهقة من الذهب الإبريز • سامحني ان لم أفكر بـك عندما كنت هائما بحبها • لأن خصمي ومزاحمي الذي يفضله ابوها عليّ بسبب ضخامة ثروته ، قد استأثر بهـا ومضى يتنعم بصحتها • وعليّ أن ألحق به نظرا الى ما يغلي في صدري ، كما تعلم ، من مراجل الغيرة والحسد •

بروتيو : ولكن ، هل هي تحبك ؟

فالنتينو : أجل ونحن مخطوبان • وعلاوة على ذلك ، حددنا موعـد زواجنا ، وأعددنا خطة هربنا السري ، وكيفية تسلقـي سلمًا من الحبل الى نافذتها • فجميع الوسائل مدروسة ومنسّقة لتحقيق سعادتي • تعال معي ، يا عزيزي بروتيو ، لتزويدي بنصائحك في سبيل نجاح هذه الخطة •

بروتيو : اسبقني وسألحق بك • عليّ اولا ان اذهب الى المرفأ لأجلب من السفينة بعض امتعتي التي أحتاج اليها • ثـم أوافيك حالا •

فالنتينو : ارجوك ان تعجل •

بروتيو : حبا وكرامة • (يخرج فالنتينو) كاللهب الذي يذكي اشتعال النار ، وكالمسمار الذي يغرز في لوح الخشب ، هكذا اجد ذكريات حبي الاول قد محاها حدث جديد ، ولم يبق لها من أثر • لست أدري ان كان اعجابي الشخصي بمهـارة فالنتينو وبمزاياه الحميدة او اغتراري به ، تجمعت كلهـا لتفقدني صوابي ! لا انكر ان هذه المرأة جميلة ، غير ان

جوليا هي الاخرى رائعة ، رائعة ، لذلك أهواهـــا ، او بالحري هويتها • انما هيامي بها اخذ يذوب ، كالشمعـة المشتعلة من طرفيها ، حتى زال تماما من الوجود • يخيل اليّ ان اخلاصي لفالنتينو قد فتر ، ولم اعد أكنّ لــه مودّة كالسابق • وبما اني مغرم بحبيبتي كثيرا ، لا يسعني ان أحبه هو الا قليلا • وكم سأبتهج بزيادة معرفتي بهـا اكثر فأكثر ، انا الذي عشقتها قبل ان اعرفهـــا ، والأذن تعشق قبل العين احيانا ، حتى سلبت لبّي • ولكنني عندما قدّرت صفاتها النادرة حق قدرها ، لم يبقَ لي من عذر لأظل كليل البصر لا أنجذب الى محاسنها • لذا قررت ان اضع حدا لهيامي الاعمى التائه ، وإلا سخّرت جميـــع قواي لإغوائها • (يخرج) •

المشهد الخامس

شارع في ميلانو

(يدخل ديليجنس ولنسيو)

ديليجنس : اهلا بك ، يا لنسيو •

لنسيو : لا تحرجني ، يا فتى • انا لست اهلا لما تخصني به من ترحيب ، اذ اني أعتبر المرء غير آمن طالما هو معرّض للمخاطر في كل حين ، ولا يستحق الاحترام ، طالما هوّ لم يؤد ما عليه من واجبات ، وما دامت ربة البيت لا تكرم وفادته •

ديليجنس : هيا يا صاحب الدماغ الفارغ ، سأصطحبك فورا الى حانة لا تساوي اكثر من عشرة فلوس • وهناك فقط ستلقى ما تستحقه من حفاوة• انما قل لي يا مغفّل ، كيف ترك معلمك السيدة جوليا ؟

لنسيو : لعمري ، بعد ان تعانقا طويلا ، افترقا طبعا وهما يضحكان•

ديليجنس : وهل سيتزوجها ؟

لنسيو : كلا •

ديليجنس : ماذا تقول ؟ ألن يتزوجها ؟

لنسيو : كلا ، ثم كلا •

ديليجنس : وهل فسخا خطوبتهما ؟

لنسيو : كيف ينفصلان وهما على أتم الاتفاق ؟

ديليجنس : متى جرى ذلك ؟

لنسيو : عندما اقتنعت بضرورة التفاهم معه • فأمنت مصلحتها •

ديليجنس : تباً لك من حمار ينطلي عليك هذا الهراء •

لنسيو (يتوكأ على عصاه) : لا بد لك من ان تكون حطبة يابسة حتى لا تلاحظ هذا • وإلا أفهمتك بهذه العصا •

ديليجنس : ماذا تقول ؟

لنسيو : انا مستعد لان أثبت لك صحة كلامي • لا تنسَ اني طالما انا متكىء على عصاي فهي تسندني ، وتكون لك خير مؤدب •

ديليجنس : هل تعتقد بأنها ستسندك ؟

لنسيو : ما دمت انكىء عليها فهي تسندني ، وتخدمني كلما احتجت اليها •

ديليجنس : دعنا من هذا المزاح ، واصدقني هل سيتم الزواج فعلا ؟

لنسيو : إسأل كلبي ، فان اجابك بنعم ، فسيتم ، وان اجابك بلا فسيتم ايضا • وان هز ذنَبه ولم يفه بكلمة سيتم هذا الزواج على كل حال •

ديليجنس : بالنتيجة ، انت تعلن بأنه سيتم حتما •

لنسيو : لن ابوح لك ابدا بهذا السر الا تلميحا •

ديليجنس : لا فرق عندي كيفما علمت به • ولكن ، ما رأيك بهذا النبأ، يا لنسيو ؟ ان سيدك مغرم بها بل متيَّم بهواها ؟

لنسيو : انا لم أعرفه على غير حقيقته هذه •

ديليجنس : ماذا تعني ؟

لنسيو : انه هائم حتى الجنون ، كما تقول تماما •

ديليجنس : تباً لك من ابن زانية ، ومن حمار غبي لا تفهمني •

لنسيو : يا أبله ، ان كنت لا افهمك فاني أفهم معلمك •

ديليجنس : آكرر عليك ان سيدك عاشق متيّم •

لنسيو : أؤكد لك ان الامر عندي سيّان فهو حر ان اراد ان يهلك نفسه في سبيل من يحب • هيا تعال معي لنشرب كأسا في الحانة • واذا رفضت تظل ملحدا مهما تظاهرت بالتقوى •

ديليجنس : لماذا ؟

لنسيو : لانك لا تكون صالحا تستحق كأسا بصحبتي • هيا رافقني•

ديليجنس : سمعا وطاعة (يخرجان) •

المشهد السادس

ميلانو ــ في قصر الدوق

(يدخل بروتيو)

بروتيو : عندما أغادر حبيبتي جوليا افضح نفسي • وإذ أعشق سيلفيا الجميلة افضح نفسي ايضا • وعندما اخون صديقي أفضح نفسي أشنع فضيحة • ان الوعود التي تعهدت بوفائها اولا ، هي التي تدفعني الى جحود هذا المثلث • لقد حملني الحب على اغداق الوعود بلا حساب ، وجرّني هكذا الى فضح نفسي • فما اقواك ايها الحب المغري ! ان

كنت قد اغرقتني بالمعاصي ، فعلمني ، انا عبدك المطيع ، ان أستغفر ربي • في بادىء الامر همت بنجمة مشبوهة ، والآن انا معجب بشمس ساطعة • ان الاماني التي نسعى الى تحقيقها بدون تفكير ، يمكن ان تضمحل عندما تتأمل فيها مليا • وبحق يعتبر خاليا من العقل كل من لا يقصد ان يوجه تفكيره الى استبدال الشر بالخير • تباً لك ، يا لساني الثرثار ! كيف يسعك ان تنال هكذا ممن اقسمت عشرين الف يمين ان تنصبّها ملكة على عرش قلبك • يجب عليّ ان لا أتنكر للحب • ومع ذلك تراني أتغافل عنه • وان امتنعت حينا عن تلبية ندائه ، فلكي أعود مرارا الى أحضانه بلهفة من برّحت به الاشواق • وإلا خسرت جوليا، وخسرت ايضا صديقي فالنتينو • واذا أصررت على الاحتفاظ بهما ، فلا بد لي من ان أخسر نفسي • واذا خسرتهما ، أستعيض بفضل هذه الخسارة ، ببروتيو عن فالنتينو ، وبسيلفيا عن جوليا • فصديقي ليس أعز عليّ من ذاتي ، لان محبة الذات تتقدم على كل ما عداها • بقرب سيلفيا أشكر السماء لانها وهبتها هذا الجمال ، ولان جوليا بالنسبة اليها ليست الا حبشية سمراء • انا اريد ان انسى ان جوليا على قيد الحياة ، وأريد ان أتذكّر فقط ان حبي لها قد طواه النسيان • اما فالنتينو فعليّ ان أعامله كعدو لدود كي أبحث بقرب جوليا عن صداقة أبر وأمتن • وأنا

لا اقوى على اتباع خطة واحدة حيال نفسي ، دون ان الجأ الى الخيانة تجاه فالنتينو • في هذه الليلة هو ينوي ان يتسلق سلمًا من الحبل الى سيلفيا الفاتنة • ومع ذلك ، يا لسخرية القدر ، وجب عليّ ، انا مزاحمه ، ان اكـــون مستودع اسراره • فاذاً ، لا بد من ذهابي حالا الى ابيها لأكشف له امر تنكّرهما وتصميمهما على الهرب• سيغضب طبعا وسيبعد فالنتينو لانه ينوي ان يزوج ابنته لتوريو • اما فالنتينو فمتى رحل سأمنع سريعا وبوسيلـــة فعالة ، تحقيق ما يسعى اليه هذا الاحمق توريو بهدوء • فامنحني ايها الحب اجنحتك لأستعجل تنفيذ خطتي ، كما وهبتني الدهاء للاحتيال والمخاتلة في سبيل التنعم بفيء ظلالـــك الوارفة (يخرج) •

المشهد السابع

فيرونا ــ في منزل جوليا

(تدخل جوليا وتتبعها لوسيا)

جوليا : ألتمس نصحك ، يا عزيزتي لوسيا ، وأستحلفك ، بعطفك

ومودتك ، أن تساعديني ، انت الصورة الحية التي تعكس كوامن افكاري ، فارشديني الى وسيلة شريفة أتمكن بها من اللحاق بحبيبي بروتيو •

لوسيا : يؤسفني ان اقول لك ان الطريق اليه شاق وطويل •

جوليا : ان الذي يحج ، ورائده الايمان والثقة ، لا يدركه التعب ولا الملل ، لانه يحقق بذلك اغلى أمانيه ولاسيما التي تطير به على اجنحة الحب وتحمله الى أعز شخص لديه في الدنيا يتمتع بالكمال والبهاء نظير مولاي بروتيو •

لوسيا : الافضل ان تنتظري عودته •

جوليا : ألا تدرين ان مشاهدته هي غذاء روحي ؟ إرثي لحالي لان شوقي الى عطفه يمزق أحشائي منذ أمد طويل • لو كنت تعرفين مقدار حبي العميق الملهوف ، لكنت فكرت باذكاء لهيب هيامي باللقاء بدلا من ان تحاولي اطفاء لظى أشواقي بالكلمات •

لوسيا : انا لا أفكر بإخماد نار الغرام ، بل بتخفيف شدة حرارتها كي لا تحرق ما يتجاوز حدود المعقول •

جوليا : كلما حاولت حصر الوهج كلما ازداد احراقا ، لان مجرى الماء مهما ترقرق بهدوء ، وكان خريره لطيفا ، اذا حاولت صدّه ، يزيد نزقا وتدفقا • انما عندما لا يقف أي حائل امام سيره الطبيعي ، يترنم بأحلى الانغام وهو يمر فـــوق الحصى الأملس ، ويطبع قبلة حلوة على كل قصبة يصادفها

اثناء مسيره . وهكذا يتغلغل بين ألوف الاشجار والاعشاب ويختفي اخيرا بين طيّات أمواج المحيط . سأكون هادئة كماء الينبوع الصافي ، ولن يعيقني عن السير ارهـــــاق أقدامي ، شرط ان تقودني خطواتي الى حبيبي الغالي ، فأرتاح بقربه من عناء جولتي كما ترتاح النفس في رحاب الجنــة .

لوسيا : وفي أي ثوب سترحلين ؟

جوليا : لن أرحل وأنا مرتدية ثياب النساء ، وأحذرك من الاصغاء الى ثرثرة المستهترين . أعدّي لي يا لوسيا بزّة غلام يخدم اسرة من الذوات .

لوسيا : في هذه الحالة ، على سيدتي ان تقص شعرها .

جوليا : كلا ، يا بنت ، سأضفره وأربطه ببريم من حرير وأخفي طوله بطريقة مناسبة . لان قليلا من الزينة لا تضير فتى في مثل شبابي .

اوسيا : وكيف تريدين ان يكون سروالك ؟

جوليا : سؤالك هكذا ، كمن يسأل كيف تريدين ان يكون هندامك كغلام ؟ فليكن كما ترينه ملائما يا لوسيا .

لوسيا : لا بد من ان يكون السروال بأزرار من الامام كالمعتاد .

جوليا : كلا ، ثم كلا ، يا لوسيا . فهذا غير لائق بالفتاة .

لوسيا : ان لبس السروال ، يا سيدتي ، لن يليق بك ، الا اذا حملت عصا نظير الشبان .

جوليا : اذا كنت تحبينني حقا ، يا لوسيا ، اعطني ما ترينه مناسبا ولائقا لألبسه • ولكن أصدقيني يا صبية ، ماذا يقول الناس عني عندما اقوم بمثل هذه السفرة ؟ اني اخشى الفضيحة •

لوسيا : اذا كان هذا حالك ، فالغي الرحلة والزمي بيتك •

جوليا : لا ، لا • هذا مستحيل •

لوسيا : سافري اذاً ، ولا تبالي بما يقال • اذا كان بروتيو يؤيد رحيلك ويتمنى وصولك اليه ، لا تهتمي بمن يلومك بعد قيامك بسفرك • غير اني اخشى ان لا يكون هو راضيا •

جوليا : هذا آخر ما أخشاه ، يا لوسيا • فان لدي ألف وعد ، وسيل من الدموع تشهد على صدق ما يكنّه لي من حب يضمن لي احسن استقبال يعدّه لي بروتيو •

لوسيا : كل هذه المظاهر ليست الا حيل رجل خدّاع •

جوليا : بئس من يلجأ اليها لمثل هذه الغاية • ان شخص بروتيو أرفع من الانحدار الى هذه الدناءة • انا على يقين بأن اقواله ما هي الا عهود وارتباطات اكيدة وبراهين حب مخلص لان قلبه نقي ودموعه طاهرة وتصريحاته صادقة ومودته لي بعيدة عن الغش بُعد الارض عن السماء •

لوسيا : أتمنى لك ان تلاقي فيه لدى وصولك اليه نفس العاشق المتيّم الذي تركته •

جوليا : اذا كنت تحبينني فعلا لا تفتحي لي باب الشك بصدق نياته،

فازدياد حبي له سيزيد تعلقي بك • تعالي حالا الى حجرتي لنهيىء ما يتحتم عليّ تجهيزه لهذه الرحلة التي اتوق الى تحقيقها بكل جوارحي • وسأضع تحت تصرفك جميع ما يخصني من أموال وأراض وأئتمنك حتى على سمعتي ولا اطلب منك بالمقابل الا ان تساعديني على مغادرة هـــذا المكان • هيا لا تضيعي الوقت في استجابتي ، وفـــورا باشري في العمل • فلقد استنفد صبري طول الانتظار •

الفَصْل الثالث

المشهد الاول

ميلانو ــ في قصر الدوق

(يدخل الدوق وتوريو وبروتيو)

الدوق : يا مولاي توريو ، ارجوك ان تتركنا لحظة وحدنـا ، لان لدينا أمورا نود ان نبحثها على انفراد (يخرج توريو) والآن تكلم ، يا بروتيو . ماذا تريد مني ؟

بروتيو : مولاي الكريم ، ان ما أريد ان اكشفه لك يتوجب عليّ في شرع الصداقة ان أخفيه عنك . ولكني ، عندما أفكر في ما اغدقته عليّ من نعم لم اطلبها منك ، أشعر بأن ضميري يفرض عليّ ان أعلمك بما لا تستطيع اموال العالـــم

بأجمعها ان تنتزعه من فمي • إعلم ، ايها الامير الكريم ، بأن صديقي السيد فالنتينو ينوي اختطاف ابنتك هذه الليلة ، ولقد افضى اليّ بتفاصيل مؤامرته • انا اعرف انك قررت أن تزفّ ابنتك الفاتنة هذه الى توريو الذي لا يحبها • فاذا اختُطفت منك وحيدتك ، ستكون وطأة هذه الفاجعة المؤلمة ثقيلة على شيخوختك • لذلك ، وقياما بواجبي فضّلت فضح خطة صديقي على تسبيب الحزن لك بكتمانها عنك وتعجيل انتقالك ، لا سمح الله ، الى العالم الآخر قبل الاوان •

الدوق : اشكرك ، يا بروتيو ، على اظهار اخلاصك نحوي هكذا • فبالمقابل يمكنك ان تعتمد عليّ طوال ما انا على قيد الحياة • لقد لاحظت مرارا انا بنفسي بوادر حبهما ، بينما كانا يعتقدان اني أغطّ في النوم • وكثيرا ما اقترحت على السيد فالنتينو مرافقة ابنتي ومغازلتها • غير اني ، خوفا من ان يخدعني ويثير ظنوني وحذري ، وأن أرفض رجلا صاحب حق — وهذا ما حاولت ان أتجنّبه — أظهرت له كل بشاشة لكي أوقن بما انت ذاتك تشكو لي منه في هذه اللحظة • فقدّر كم كنت قلقا ، وأنا اعرف مدى سذاجة الفتاة التي يسهل اغراؤها • لذا رحت أحجزها كل ليلة في برج مرتفع لا يفارقني مفتاحه لمحة عين كي يصبح اختطافها مستحيلا •

بروتيو : اعلم ، يا مولاي الفاضل ، ان المذكور ، حسب الخطة المرسومة ، يستطيع الصعود الى نافذة حجرتها وانزالها على سلم من الحبل • وهذا السلم قد ذهب الشاب العاشق لجلبه • وبما انه سيأتي به الى هنا بعد برهة ، يمكنك ان تقطع عليه الطريق • ولكن ، يا مولاي الكريم ، ارجوك ان تتصرف ، ان شئت ، بشكل يبعد عني شبهة الوشاية • لاني حبا بك ، لا بغضا بصديقي ، اقوم بفضح مشروع هذا الاختطاف •

الدوق : بشرفي ، لن يعرف احد ابدا بأني استقيت منك اية معلومات •

بروتيو وداعا ، يا مولاي • ها قد أقبل السيد فالنتينو (يخرج) •

(يدخل فالنتينو ملتفا بمعطف طويل ويجتاز المسرح بسرعة)

الدوق : مولاي فالنتينو ، الى اين انت ذاهب بمثل هذه العجلة ؟

فالنتينو (يقف) : عذرا ، يا صاحب السيادة • هناك ساعي بريد ينتظر اخذ رسائلي ليحملها الى اسرتي ، وأنا انوي تسليمه اياها قبل رحيله الوشيك •

الدوق : هل هي هامة جدا ؟

فالنتينو : انها تطمئن عن صحتي وسعادتي في بلاطك يا مولاي •

الدوق : فاذاً ، لا كبير اهمية لها • (بلهجة تدل على المودة والتشويق) ابقَ معي لحظة لاني أود ان أفتح لك صدري بخصوص قضايا تتعلق بي ، وأسألك ان تحتفظ بها كسرّ • انت لا

تجهل اني أفكر بزف ّ ابنتي الى السيد توريو •

فالنتينو : انا اعرف ذلك جيدا ، يا مولاي • ولا أشك في انه سيكون قرانا غنيا ومشر ّفا ، علماً بأن الرجل فضيل وكريم ، يمتاز بالصفات الحميدة التي تليق بصبية كابنتك الجميلة • أولا يمكنك ، يا صاحب السعادة ، ان تحملها على القبول به ؟

الدوق : أؤكد لك انني لا استطيع ، لانها فتاة عنيدة متمردة لا ترعى عهود الواجب ولا تقد ّر فروض بنو ّتها كما لا تحترم أبو ّتي • بالاختصار ، يسعني ان أصرح لك بأن تجبّرها يكاد يقضي على ما آكنه لها في صدري من محبة أبوية • وإذ كنت أترقب منها العطف البنوي لتبتهج به شيخوختي ، تراها الان مصممة على الاقتران بمن لا يحظى برضاي ، وقد نجح في السيطرة على مشاعرها • فليكن لها من حسنها بائنة ما دامت لا تأبه لموقفي ولا لأملاكي •

فالنتينو : فبماذا يمكنني ان اخدم سيادتك ؟

الدوق : يا عزيزي ، هنا في ميلانو ، سيدة انا متيّم بهواها ، ولكنها تبدي نحوي تحفّظا فاترا • لذلك ، ارجوك ان تكون مرشدي في استمالتها ، اذ اني منذ مدة طويلة نسيت المغازلة ، وقد تبد ّل اليوم نسق التودد الى النساء • أفدني اذاً كيف يجب ان أتصرف لأحظى بعطفها ومحبتها •

فالنتينو : أغدق عليها الهدايا ، ما دامت لا تقد ّر طلاوة حديثك • اذ غالبا ما تعمل الجواهر الصماء بأسلوبها الصامت على

تحريك احساس المرأة اكثر من حلو الكلام .

الدوق : لكنها قد رفضت هدية قدمتها لها مؤخرا .

فالنتينو : المرأة بسبب غرورها تأبى احيانا قبول ما تميل اليه ويسترعي اعجابها . فارسل لها هدية اخرى ولا تستسلم للقنوط ابدا . لأن ما كان العاشق ، بوجه الاجمال يكرهه في الماضي ، يزيده في المستقبل ولعا . فان كانت تقاطعك فذلك ليس بغضا بشخصك ، بل بالعكس لمضاعفة جاذبية دلالها . واذا جافتك فليس لإقصائك عنها ، بل لانها ، مثل كافة النساء ، يتملكها النفور متى لاحظت بعض التغاضي من الرجل الذي ينال اعجابها ويستأثر بانتباهها . فلا تيأس مهما قالت لك . عندما تطلب منك الانسحاب كن على يقين بأنها لا تقصد ابدا ان تبعدك عنها . فتملقها اذاً وامتدحها ، وأطنب في وصف محاسنها وتعداد مفاتنها . ومهماكانت كامدة متجهمة ردد عليها ان لها وجها صبوحا مشرقا كالملاك . فالرجل الفطن لا يكون مرغوبا الا اذا عرف كيف يستميل حبيبته ويمتلك قلبها بحلاوة لسانه .

الدوق : ان التي أكلمك عنها قد وعد بها اهلها شابا على جانب من الصفات وحجبوها عن مزاحميه حتى بات الوصول اليها نهارا من أصعب الصعاب .

فالنتينو : ما عليك الا الاتصال بها ليلا .

الدوق : ولكن الابواب موصدة جيدا ، والمفاتيح محفوظة في مكان

بعيد المنال يجعل وصول أي قاصد اليهـا ليلا مـــن المستحيلات.

فالنتينو : وما المانع من اقتحام نافذتها ؟

الدوق : ان حجرتها واقعة على علو شاهق ، وجدارها عسير التسلق لا يدع سبيلا الى الصعود اليها بدون تعريض حياة المغامر الى الهلاك .

فالنتينو : اذاً لا بد من سلمّ من الحبل المتين ، له كلاّبان مـــن الحديد ، يتيح الصعود الى برج منيع لا يتردد العاشـــق المشتاق في تسلّقه مهما شقّت المحاولة .

الدوق : والآن ، ان كنت مخلصا حقا ، أفدني اين اجد مثل هــــذا السلمّ الضروري ؟

فالنتينو : قل لي متى ستحتاج اليه ، يا مولاي ؟

الدوق : هذا المساء ، لان المحب ، كالولد الصغير ، يهفو للحصول على ما يتوق اليه بأقصى السرعة .

فالنتينو : حول الساعة السابعة ، اكون قد جلبت لك السلمّ المنشود.

الدوق : اصغ اليّ جيدا ، يا صاح . أريد ان اذهب وحدي . فكيف انقل السلم الى هنالك ؟

فالنتينو : سيكون خفيفا جدا ، يا مولاي ، فتتمكن من حمله تحت معطفك مهما بعدت المسافة .

الدوق : هل يفي بالمرام معطف طويل كالذي ترتديه ؟

فالنتينو : أجل ، يا مولاي الكريم .

الدوق : اذاً ، أرني معطفك لكي أقتني واحدا بمثل طوله •

فالنتينو : ان اول معطف تحصل عليه يلبي الحاجة ، يا مولاي •

الدوق : وكيف ألبسه ؟ دعني أجرب معطفك لأرى كيف سيكـون عليّ (يستأثر بالمعطف الذي يلتف به فالنتينو ، ويضعـه بعجلة على كتفيه ويمد يده الى جيبه) • ما هذه الورقة ؟ (يقرأ عنوانها) • ماذا اقرأ هنا ؟ الى سيلفيا • (يبحث في جيب آخر ، ويسحب منه سلّم الحبل) هذا الحبل يساعد حقا على تنفيذ عمليتي • وهذه الرسالة ، لا بد مـــن استباحة فض ختمها •

(يفتح الرسالة ويقرأ الاشعار التالية)

أفكاري تصبو ليـلا الى رياض حبيبتي
وعواطفي تسمو اليها لتبديـــد كربتـي
تمهّد السبيل لبلوغـــي أحلى الامنيات
كالطير ينشد عشه لا تثنيـــه العقبات •
خواطري المشغولة بهواكِ تحن الى قربكِ
تسبقني اليكِ فتؤنسني وتشكـو هجركِ
بينما الحنين يزيدني لوعة ويثير أشواقي
راجيـــا لقياكِ واطفاء لواعج فراقـــي
وإلا لعنت حظي وساعة وقوعي في هواكِ
اذا صممّتِ على صدّي وحرماني بهجة رضاكِ•

من ارى هنا ؟ (يواصل قراءة العبارة التالية) «يا حبيبتي

سيلفيا ، سأبدد عنك الشقاء هذه الليلة» . أجل ، هذا هو السلّم الذي سأتسلّقه للوصول اليك . وأنت ايها العاشق المتيّم الذي تصبو الى تحقيق أحلامك ولو احرقت العالم بنار جنونك ، هل تريد ان تجمع النجوم لانها تلمع فوق رأسك ؟ هيا ، ايها الدخيل اللعين ، ايها الدجّال المنافق ، احتفظ بكل ابتساماتك الخدّاعة لأمثالك الغشاشين . ان كنت لا تزال تتمتع بحريتك فالفضل عائد الى سماحتي وعدالتي . أشكرني على كرمي هذا اكثر من جميع الافضال التي اسديتها اليك حتى الان. واذا بقيت في حماي الى ما بعد المهلة التي سمحت لك بها لتغادر الديار، فان غضبي يتجاوز كثيرا عطفي على ابنتي او عليك. اغرب عن وجهي ، فاني لا أريد ان استمع الى أعذارك الواهية . واذا كنت حريصا على حياتك ، لا تظهر امامي بعد الان (يخرج الدوق) .

فالنتينو : لماذا أفضّل الموت على العذاب ؟ والمنية كامنة في إبعاد نفسي عن ذاتي ، لان سيلفيا هي ذاتي العزيزة . والبعد عنها هو البعد عن نفسي . فتباً لك ايها الهجران القاتل . النور لا يكون نورا اذا غابت عني سيلفيا ، والفرح لا يكون فرحا اذا احتجبت سيلفيا عن ناظري .لا يكفيني ان أتخيل انها بقربي ، فماء السراب لا يشفي الغليل . والظلام يخيم عليّ اذا غاب عني وجه سيلفيا ، وشدو البلابل يفقد

عذوبته • واذا لم أشاهد حبيبتي يوما ، فذاك اليوم لا يحسب من عمري • فهي غذاء نفسي ، وهي الشعاع الذي يضيء دربي ، وبدونها لا حياة ولا لذة ولا بهجة لوجودي• انا لا اخشى الموت ولا أهرب منه • انما بقائي هنا يعني دنو أجلي ، وهربي منه يعني عودة الروح الي • (يرخـــي الليل سدوله) •

(يدخل بروتيو ولنسيو)

بروتيو (للنسيو) : أسرع ، يا غلام ، أسرع ، وفتش هذا المكان •

لنسيو (ينادي) : يا جبان •

بروتيو : ماذا تبصر هنا ؟

لنسيو : أهذا أنت ، يا فالنتينو ؟

فالنتينو : كلا •

بروتيو : من انت اذاً ؟ هل انت طيف ؟

فالنتينو : كلا ، ثم كلا •

بروتيو : من اذاً ؟ أجب •

فالنتينو : لا احد •

لنسيو : وهل يستطيع غير الموجود ان يجيب ؟ ما رأيك ، يا سيدي، لو ضربته ؟

بروتيو : من تريد ان تضرب ؟

لنسيو : لا احد •

بروتيو (يمنعه عن ذلك) : انا أمنعك ، يا مغفل •

لنسيو : ولكن ، اذا ضربته ، يا سيدي ، لا أفعل ذلك بدون سبب ؟
ارجوك ...

بروتيو : اياك يا غبي ان تمسه . اصغ يا فالنتينو، الى ما اقوله لك.

فالنتينو : أذناي مسدودتان ، ولا تقويان على سماع الانباء الطيبة نظرا الى كثرة ما بلغني من أخبار السوء .

بروتيو : اذاً ، سأدفن معلوماتي في بئر عميقة من الصمت ، لانها حزينة لا تسرّ احدا .

فالنتينو : هل ماتت سيلفيا ؟

بروتيو : كلا ، يا فالنتينو .

فالنتينو : أتقول كلا ، وفالنتينو لم يعد له من وجود في نظر الفاتنة سيلفيا ؟ أولم تتنكر لي بعد ؟

بروتيو : أكرر قولي : كلا ، يافالنتينو .

فالنتينو : كن على يقين بأن فالنتينو لا يسعه ان يعيش اذا تنكرت له سيلفيا .

لنسيو (بحدة) : أظن ان هذا التصريح قد عكّر عليك تفكيرك .

بروتيو : من ابعدك عن هذا المكان ؟ وما صحة هذا النبأ ؟ ان هجرك ديارنا يقصيك عن سيلفيا وعني انا صديقك الحميم .

فالنتينو : لقد تحملت هذا الصد بفارغ الصبر ، وأشعر بالمزيد من الجفاء يخنقني . هل تدري هي بأني اعيش كأني في المنفى.

بروتيو : نعم ، نعم . وقد اعترضت على هذا القرار الذي لا ازال اذكره بكل صرامته ، وسكبت من عينيها النجلاوين بحرا

من اللآلىء المائعة التي يدعوها الناس دموعا ، ذرفتها عند قدمي جلاّدها ، جاثية متذللة رافعة باسترحام ذراعيهـــا الناصعتين الشاحبتين من شدة الالم . لكن لا ركبتيهـــا المطويتين ولا يديها الطاهرتين المتوسلتين ، ولا آهاتهـا الحزينة ولا أنّاتها الجارحة ، ولا دموعها الغزيرة لم تقوَ على استدرار شفقة والدها القاسي . فاذا وقعت انت في الفخ يا فالنتينو ، فنصيبك سيكون الهلاك المحتم . اذ قد أوغر صدر الاب حقدا عليك تشبثُّث ابنته التـي التمست لك منه العفو ، فما نالت جزاء استعطافها سوى الحجـــر الضيق الذي تخشى ان تبقى فيه سجينة الى الابد .

نينو : أصمت ، يا غبي . اخشى ان تكون الكلمة التي ستلفظها شؤما على حياتي . واذا كان الامر كذلك ، فاهمس في أذني الحكم الجائر عليّ بالعذاب المبرح .

نيو : كف عن التفجّع ، وابحث عن ضماد لجراح قلبك . فالوقت خير بلسم وأنجع دواء لجميع النكبات . اذا بقيت هنا لن تستطيع مشاهدة حبيبتك . ولا تنسَ ان بقاءك في هذا المكان معناه تقريب أجلك . الامل ينعش مهج العشاق ، فحاول ان يغمر صدرك ، لتكافح به الافكار السوداء . تعال معي فأوصلك الى ابواب المدينة . وقبل ان نفترق سنتحدث مطولا عن كل ما يهمك ويحقق لك امانيك فـــي الهوى ، ويغذّي حبك لسيلفيا ، ويشـــــدد عزيمتك .

احترس من الاخطار المحيقة بك ، وهيا رافقني •

فالنتينو : ارجوك ، يا لنسيو ، اذا ابصرت غلامي ، ان توصيه بالتعجيل في اللحاق بي الى الباب الشمالي •

بروتيو : اذهب ، يا مغفل ، وابحث انت عنه • تعال يا فالنتينو •

فالنتينو : ليتكِ تعلمين يا سيلفيا ، ما اشقى حبيبك فالنتينو • (يخرج بروتيو وفالنتينو) •

لنسيو : انا لست سوى أحمق ، كما ترى ، لاني اعتبرت سيدي مغفلا يمتاز عن غيره ، فاذا هو في الواقع غبي عادي • هذا لا يهم • لا احد يعلم بعد بأني عاشق ، مع اني متيّم غارق في بحر الغرام • انما لا احد يستطيع ان ينتزع مني هذا السر او أي تصريح يدل على ما أعانيه من تباريح الشوق في حب امرأة أهيم بها ، بالرغم من انها اجيرة في مزرعة، لم تعد بنتا بسبب ما أثارته حولها من عاصفة الانتقادات ، بل هي اجيرة لانها عاملة في مزرعة ابيها تخدم بأجر معين • لها صفات تفوق امانة الصديق اليقظ وهذا كثير بالنسبة الى فتاة بسيطة مسكينة • اما مزاياها فهي (يسحب من جيبه ورقة) : انها تسعى وتكسب • فاذا كانت لا تقوى على عمل اكثر من هذا ، تكون لها قيمة اكثر من سواها • ثم انها تجيد حلب البقر ، وهذه فضيلة مشكورة ، كما تلاحظ، لدى فتاة طاهرة اليدين •

(يدخل ديليجنس)

ديليجنس : ما وراءك من الاخبار يا سنيور لنسيو ؟
لنسيو (يقاطعه) : اني لا اجد سبيلا الى الاطمئنان •
ديليجنس : حسن • انت لا تزال على علاّتك السابقة، تتلاعب بالكلام•
أريد ان اسألك : ما هي اخبار هذه الورقة ؟
لنسيو : اسوأ الانباء التي يمكنك سماعها •
ديليجنس : لماذا تقول اسوأ الانباء ؟
لنسيو : لانها اخبار كالزفت •
ديليجنس : دعني أطّلع عليها •
لنسيو تباً لك من حمار ! وهل تعرف القراءة ؟
ديليجنس : انت مخطىء • فأنا ألمّ بها •
لنسيو : هيا أمتحنك • قل لي من هو ابوك ؟
ديليجنس : لعمري ، هو ابن جدّي •
لنسيو : يا لك من جاهل ! بل هو ابن جدتك • وهذا دليل قاطع على جهلك القراءة •
ديليجنس : هيا ، يا بهلول ! امتحنّي بموجب ورقتك •
لنسيو : هاك • ليكن الله في عونك (يقدم له الورقة) •
ديليجنس (يقرأ) : هي تعرف كيف تحلب البقرة •
لنسيو : نعم هذا تعرفه جيدا •
ديليجنس : ثم تصنع شرابا لذيذا •
لنسيو : ومن هنا شاع القول : نِعمَ من يجيد صنع الشراب اللذيذ•
ديليجنس : ثم انها بارعة في تصريف الامور •

لنسيو : هذه نقطة هامة اساسية .

ديليجنس : ثم تعرف حبْك الصوف .

لنسيو : الفتاة التي تجيد الحبك يتسنى لها ان تكسو رجلها بأناقة.

ديليجنس : ثم انها ماهرة في غسل الثياب وتنظيف البيت بنفسها .

لنسيو : هذه فضيلة تستحق التقدير مع انها لن تحتاج الى الغسل ولا الى التنظيف .

ديليجنس : ثم تستطيع ان تغزل الخيوط .

لنسيو : سأكون سعيدا بذلك مثل المغزل في يدها ، اذا كانت تصنع ما يكفي سد حاجاتها .

ديليجنس : ثم ان لها حسنات عديدة غير مذكورة هنا .

لنسيو : قد تبدو حسناتها غير شرعية ، ربما لانها لم تعرف ابدا اهلها ولم تعرف اسمها الحقيقي .

ديليجنس : هذه أولى سيئاتها .

لنسيو : بل تكملة فضائلها .

ديليجنس : ثم انها لا تستحسن ان يقبّلها احد قبل الاكل ، نظرا الى ما لها من رائحة فم كريهة .

لنسيو : ان لم يكن هذا صحيحا ، فان نقيصة كهذه يعوض عنها بعدة وسائل . هيا تابع .

ديليجنس : ثم ان ذوقها في طهو الاطعمة يفوق كل الحسنات .

لنسيو : هذا يعوض عن رائحة فمها .

ديليجنس : ثم انها تتكلم اثناء نومها .

لنسيو : الامر لا يهم حتى ان نامت وهي تتكلم .

ديليجنس : ثم ان حديثها بطيء .

لنسيو : ما أغباك ، ان حسبت هذا من سيئاتها ! ان بطء الحديث بالنسبة الى المرأة ليس الا فضيلة . فأرجوك ان تشطب ذلك وتضعه في رأس لائحة حسناتها .

ديليجنس : ثم انها كثيرة التبرّج .

لنسيو : أشطب هذا ايضا ، لانه هدية جدتنا حواء لابنتها ، لا سبيل الى حرمانها منها .

ديليجنس : ثم ان فمها خالٍ من الاسنان .

لنسيو : هذا ايضا لا يضايقني ، لانني احب قشرة الخبز الصلبة التي لا تقوى على مضغها .

ديليجنس : ثم انها شرسة .

لنسيو : هذا لا يهمني . بما ان لا اسنان لها ، فهي اذاً لا تستطيع ان تعض .

ديليجنس : ثم ان لها ميل الى الشرب .

لنسيو : اذا كان الشراب من الصنف الجيد فلا بأس ان ذاقته . وستمتنع عنه ان انا امتنعت . على كل حال ، لا غنى عن تذوّق أطايب الحياة .

ديليجنس : ثم انها بارزة التحرر .

لنسيو : هذا غير وارد الا بالكلام فقط ، لانها فعلا بطيئة الحديث. اما من ناحية الدراهم فهذا لن يزعجني ، لاني سأضيّق

عليها باب المصروف • وان امكن تحررها في باب آخر ، فسأجد لكل داء دواء • هيا تابع •

ديليجنس : ثم ان شعر رأسها يفوق بكثير ما يغلفه من دماغ ، كمـــا تغطي نقودها العديد من نقائصها •

لنسيو : قف عند هذا الحد • لاني قررت الاحتفاظ بها • لقد كانت لي في الماضي، اما الان فألاحظ كأنها لم تعد من نصيبي ، ومع ذلك أتشبث بموقفي منها •

ديليجنس : أكرر ان شعر رأسها يفوق كثيرا ما يخبئه من دماغ •

لانسيو : تقول ان مقدار شعرها يفوق دماغهـــا • هذا محتمل ، وسأثبت لك ان المملحة هي اكبر حجما مما تحويه من الملح• وهكذا يكون الشعر الذي يغطي الدماغ اكبر حجما من الدماغ ، لان المحتوى دوما اصغر من المحتوي •

ديليجنس : فاذاً ، سيئاتها هي اكثر من شعرها •

لنسيو : هذا فظيع • ألتمس من السماء ان لا يكون هذا صحيحا •

ديليجنس : ونقودها اكثر من سيئاتها •

لنسيو : هذا في الواقع ما يجعل النواقص معقولة ومعذورة • أكرر عليك : اني مصمم على الاحتفاظ بها • وعندما يتم الزواج لن يبقى هناك من مستحيل •

ديليجنس : حينئذ ؟

لنسيو : أذكّرك بأن سيدك ينتظرك عند الباب الشمالي •

ديليجنس : ينتظرني انا ؟

لنسيو : أجل انت . ومن انت ؟ فلقد انتظر من هو ارفع منك شأنا.
ديليجنس : لماذا لم تخبرني بذلك قبل الان ؟ تباً لرسائلك الغرامية . (يخرج) .
لنسيو : هل هزّته قراءة مكتوبي ؟ ما اغبى من يزجّه تطفّله في اسرار الغير . سألحق به ، ويسرّني ان ارى ان هذا الصبي قد تعلم على حساب أخطائه (يخرج) .

المشهد الثاني

ميلانو ـ في قصر الدوق

(يدخل الدوق وتوريو ثم بروتيو الذي يقف في مكان ما من صدر المسرح)

الدوق : سيدي توريو ، ستحبك الان بعد غياب فالنتينو عن نظرها.
توريو : منذ نفيه ، اخذ كرهها لي يزداد ، فلعنتَ أسلافي وأهانتني حين يئست من الحصول عليه .
الدوق : ان الانفعال في الحب أشبه بتمثال مصنوع من الجليد يذوب حالما يتعرض للحرارة . ولن يمضي وقت طويل حتى يذوب جليد عواطفها ، وتنسى فالنتينو الذي لا يستحقها. (يبصر بروتيو) ما وراءك من اخبار ، يا سيدي بروتيو ؟

هل رحل مواطنك حسب اتفاقنا ؟

بروتيو (يتقدم) : لقد ذهب ، يا مولاي الكريم •

الدوق : وقبلت ابنتي بالرحيل على اثر ما خلّفه في صدرها من الالم•

بروتيو : هذا الحزن لن يلبث ان يزول مع الزمن •

الدوق : أظن ذلك ، خلافا لما يعتقد به توريو • يا بروتيو ، ان حسن ظني باخلاصك لي يشجعني على الثقة بك اكثر فأكثر •

بروتيو : ومتى قلّ وفائي نحو سيادتك ، أحجب عني أفضالك يا مولاي •

الدوق : انت تعلم كم اتوق الى توثيق العلاقات بين ابنتي والسيد توريو •

بروتيو : أجل ، يا مولاي •

الدوق : وأنت لا تجهل ايضا ، على ما أظن ، مقدار مقاومتها ورفضها رغباتي •

بروتيو : هذا كان اثناء وجود فالنتينو هنا •

الدوق : نعم ولكنها مستمرة في عنادها • فماذا يمكننا عمله لجعل سيادة الآنسة تنسى حبها لفالنتينو ، وتهوى السيد توريو؟

بروتيو : أفضل وسيلة هي ان نلصق بفالنتينو تهمة الخداع والجبانة والاحتيال • وهي القبائح الثلاث التي تكرهها المرأة وتمقتها •

الدوق : نعم ، ولكنها ستظن بأن الحقد هو الذي ينطق بفمناه

بروتيو : هذا صحيح ، اذا كان احد اعداء فالنتينو الذي يتكلم •

ولذلك لا بد من ان ينطلق هذا القول مع التفاصيل الثبوتية على لسان من تنظر اليه كصديق •

الدوق : اذاً ، انت الذي ستختلق هذه الافتراءات •

بروتيو : هذا ما اكرهه يا مولاي • فهو دور دنيء بالنسبة الى شخص مثلي من الاشراف ، ولاسيما بحق صديق حميم •

الدوق : بما ان مدحك لا يخدمه ، فان ذمك لن يؤذيه • قم اذاً بهذا الدور ولا تبالِ ، نزولا عند رجاء صديقك •

بروتيو : كلامك مقنع ، يا مولاي • فاذا نجحت في تشويه سمعته في نظرها ستكفّ اذ ذاك عن حبه • ولكن على افتراض اني اقتلعت من قلبها تعلّقها بفالنتينو ، فهل هذا سيحملها على حب السيد توريو ؟.

توريو : بالفعل ، عندما يفرغ قلبها من الهوى ، اخشى ان يتعطل ولا يعود صالحا للشعور النبيل • يجب اذاً توجيه عواطفها نحوي ، وهذا لا يتم الا بفتح قلبها على محبتي ، بقدر ما تغلقه في وجه ميلها الى السيد فالنتينو •

الدوق : انا ألقي كل اتكالي عليك في هذه القضية يا توريو ، مع اني علمت من فالنتينو بأنك قد حولت حبك الى امرأة اخرى ، وانك غير قادر على نسيانها وإبدال وجهة تفضيلك • وعلى اساس هذه الضمانة ، أود ان تنال رضى سيلفيا اثناء تحدثك اليها بكل حرية ، هي كئيبة ومنطوية على نفسها • انما عن طريق تذكيرها بصديقك ، ستيسرّها مشاهدتك •

وحينئذ سيسهل عليك اقناعها بكره الشـــاب فالنتينو ، وبالتدلّه بحب صديقك القديم .

بروتيو : سأعمل كل ما بوسعي . انما ، يا سيدي توريو ، ليس لديك حججا كافية لاقناعها . فعليك اذاً ان تكسب عطفها بما تبثه في أشعارك من شكوى مؤثرة ومن اخلاص وأمنيـــات غاليـــة .

الدوق : أجل ان تأثير الشعر قوي لانه إلهام سماوي .

بروتيو : قل لسيلفيا انك على مذبح حبها وجمالها ، ستضحـــي بدموعك وتنهداتك ومشاعرك . اكتب حتى يجف مداد محبرتك ، ثم رطّب عباراتك بعبراتك ، وانظم بعـــض الاشعار الرقيقة التي توحي بالحب الكامل ، لان في قيثارة ربة الالهام أوتارا من عواطف الشعراء، لذلك جاءت نقراتها الذهبية تليّن الفولاذ وتفتت الصخر ، وتروض النمـــور وتضطر أضخم العفاريت الى مغادرة اعمق المهاوي لترقص على رمال الشواطىء الحالمة . بعد هذه المغامرات الودية التي تستدرّ الحنو ، إقترب ليلا من نافذة فتاتك الجميلة في نزهة رائعة ، وانشد لحنا شجيا ترافقه أنغام اوتـــارك الساحرة . واجعل صمت لياليك الساهدة يواكب لهفتك وأشواقك . وبغير هذه الوسيلة لن يتسنى لك امتـــلاك قلبها ابدا .

الدوق : هذا الاسلوب يبرهن لها عن شدة ولهك بها .

توريو : ابتداء من هذا المساء بالذات أريد ان أتصرف حسب نصحك.
وهكذا يا مرشدي العزيز بروتيو ، سنمضي بخطى حثيثة الى المدينة لنختار بعض الموسيقيين الماهرين . لـــديّ اغنية تفي بالمرام كمقدمة لبرنامجك الممتع الذي ارجو له كل النجاح .

الدوق : فالى العمل ، يا سادة .

بروتيو : سنظل بجانب سيادتك حتى ما بعد الغداء . ثم ننفذ الخطة.

الدوق : كلا . هيا الى العمل فورا ، والله ولي التوفيق (يخرجون).

الفصل الرابع

المشهد الاول

غابة قرب منتوا

(يدخل بعض اللصوص)

اللص الاول : استعدوا ، يا رفاق ، فاني ارى شخصا مقبلا •

اللص الثاني : حتى ان كان هناك عشرة شجعان ، لن نتراجع بل نهاجمهم•

(يدخل فالنتينو وديليجنس)

اللص الثالث (يقف امام فالنتينو) : قف ، يا رجل ، واعطنا ما معك ، وإلا حجزناك وسلبناك •

ديليجنس (لفالنتينو) : لقد هلكنا ، يا سيدي • هؤلاء هم اللصوص الذين

يروّعون جميع المسافرين .

فالنتينو : يا اصدقائي .

اللص الاول : انت متوهم ، يا هذا . نحن لسنا اصدقاءك بل اعداءك .

اللص الثاني : تريثوا قليلا ، يا رفاق . علينا ان نستمع اليه .

اللص الثالث : إي ، وربّي . علينا ان نستمع اليه لانه انسان محترم ، على ما يبدو .

فالنتينو : اعلموا ان ليس لدي مال كي اخشى خسرانه . انا رجل تلازمني الفاقة منذ زمن طويل . فكل ثروتي هي ما عليّ من ملابس حقيرة . فان جردتموني منها حرمتموني ماديا جميع ما املك .

اللص الثاني : الى اين انت ذاهب ؟

فالنتينو : الى مدينة فيرونا .

اللص الأول : ومن اين انت آت ؟

فالنتينو : من ميلانو .

اللص الثالث : هل مكثت فيها طويلا ؟

فالنتينو : ما يقارب عشرة اشهر . كنت استطيع البقاء فيها مدة اطول لو لم يخرجني منها سوء طالعي .

اللص الاول : وهل أبعِدتَ عن ميلانو ؟

فالنتينو : أجل .

اللص الثاني : ولأي صنيع قبيح ؟

فالنتينو : بسبب قضية لا يمكنني ان أبينها بدون ان يستولي عليّ

الحزن • لقد قتلت رجلا آسف كثيرا لموته ، مع اني قضيت عليه ببسالة بعيدة عن الغدر ، في شجار لم ينشب بيننا لغاية سافلة او عن خيانة •

اللص الاول : لا تندم على ما فات • اذا كانت القصة قد جرت كما تقول، فاني اتساءل كيف أبعِدتَ بسبب قضية بسيطة كهذه ؟

فالنتينو : هذا ما حدث ، وأنا سعيد بالحكم الذي صدر عليّ •

اللص الاول : هل تعرف لغات اجنبية ؟

فالنتينو : الاسفار التي قمت بها في شبابي اكسبتني هذه الميزة ، ولولاها لكنت لاقيت كثيرا من الضيق والحرج •

اللص الثالث : لعمري ، ان رفيقا مثل هذا يكون خير زعيم لعصابتنا •

اللص الاول : لنحتجزه اذاً لهذه الغاية • اسمح لي بكلمة ، يا سيدي •

(ينتحي اللصوص جانبا ويتشاورون بصوت خافت)

ديليجنس : يا سيدي ، كن واحدا منهم ، لان مهنتهم اللصوصية الشريفة •

فالنتينو : كفى يا مغفّل •

اللص الثاني (يتقدم نحو فالنتينو) : قل لنا هل لديك مورد آخر ؟

فالنتينو : لا مورد لي ، ولست أملك غير ما عليّ من ثياب •

اللص الثالث : اعلم ان بعضنا من الاعيان ، وقد طردتهم فئات طاغية من المجتمع ، وأنا ذاتي مبعد عن فيرونا بسبب محاولتي اختطاف امرأة هي قريبة الدوق ووريثته الشرعية •

اللص الثاني : وأنا منفي عن مدينة منتوا بسبب طعني احد الوجهاء بخنجر

في قلبه .

اللص الاول : وأنا مبعد لاجل جريمة صغيرة من هذا النوع . اننـــــا باستعراضنا واقعنا ، نلاحظ اننا نعترف بذنوبنا لتبريـــر وجودنا المشبوه في نظرك . وعلى افتراض اننا تتمتع نحن بمثل هذه الميزة حسب اعتقادنا ، تكون انت صاحب اللغات العديدة ، الرجل الفذ الذي نحتاج اليه في مهنتنا .

اللص الثاني : خلاصة القول ، انت مبعد ، ونحن نود ان نتعامل معك . فهل ترضى ان تكون قائدنا وتساعدنا على ابراز فضائلنا في الحياة ضمن اطار عزلتنا الموحشة .

اللص الثالث : ما قولك ؟ هل تريد ان تكون من جماعتنا ؟ قل نعم ، فتصبح رئيسنا ونحترمك ونخضع لأوامرك كقائدنـــا وسيدنا .

اللص الاول : ولكن ، اذا احتقرتَ مبادئنا فموتا تموت .

اللص الثاني : كن على يقين بأننا لن ندع لك مجالا لتستهتر بما نقترحه عليك .

فالنتينو : اني اقبل عرضكم ، وأريد ان اعيش معكم بشرط ان لا ترتكبوا حماقات بحق النساء البسيطات والمارّين المساكين.

اللص الثالث : كلا . نحن نأبى هذه الجبانات الدنيئة . هيا تعال معنا . سنضمك الى عصابتنا ونريك كنوزنا التي ، كما هي لنا ، ستكون تحت تصرفك ايضا . (يخرجون) .

المشهد الثاني

ميلانو ـ تحت نوافذ سيلفيا ، في ضوء القمر

(يدخل بروتيو)

بروتيو : لقد خنت فالنتينو ، والآن عليّ ان اخدع توريو • لاني تحت ستار التكلم باسمه ، أجدني حرا في الولاء لحبي الخاص • لكن سيلفيا فتاة شريفة وأمينة وورعة ، ولن تقبل بأن تغترّ بما أزينه لها بنذالة • فعندما أتذرع لديها بوفائي الصادق ستنبهني الى مراءاتي والى وجـــوب محافظتي على عهد صديقي • وعندما أوجه الى شخصها الحبيب أعز أمنياتي ، ستذكّرني بأني نقضت وعـــودي لجوليا التي كنت مغرما بها • انما بالرغم من كل هذه المهازل التي يحطم أبسطها آمال العشاق ، ارى حبي شبيها بالكلب الذي كلما قسوت عليه كلما ازداد تعلقا به • ها هو توريو قد أقبل ، فيجب عليّ ان أذهب الان الى نافذة سيلفيا لكي أنشد لها بعض الاغاني •

(يصل توريو برفقة بعض الموسيقيين)

توريو : ارالك تسللت الى هنا قبلنا ، يا سيدي بروتيو •

بروتيو : أجل ، يا عزيزي توريو • الحب كما تعلم يتسلل كاللص الى

حيث لا يسعه ان يدخل علنا .

تورِيو : الامل ، يا مولاي ، ان لا تكون حبيبتك في هذا المكان .

بروتيو : بالعكس ، يا سيدي . وإلا ما كنت اتيت الى هنا .

تورِيو : ومن هي ؟ هل هي سيلفيا ؟

بروتيو : نعم ، سيلفيا . انما تتيجة مساعيّ هي لصالحك ، كما تعلم.

تورِيو : شكرا جزيلا . (للموسيقيين) اضبطوا ، يا سادة ، آلاتكم واعزفوا بحماس . (يتقدم بروتيو وتوريو الموسيقيين ، ويقف الجميع تحت نوافذ سيلفيا) .

(يدخل فندقي بصحبة جوليا المتنكرة بلباس غلام وكلاهما يقفان بعيدا)

الفندقي : يا ضيفي الشاب ، ارى على محياك بعض الكآبة . فأرجوك ان تعلمني بما تشكو منه .

جوليا : لا أبالغ ، يا مضيفي ، ان بحت لك بأن البهجة حاليا تجافيني.

الفندقي : اذاً سأبذل جهدي لإدخال السرور الى قلبك . سآخذك الى حيث تستمع الى الموسيقى وتلتقي بالرجل الذي تنتظره .

جوليا : وهل يمكنني ان أسمعه يتكلم ؟

الفندقي : بالطبع .

جوليا : ماذا تريد ان تسمعني من الموسيقى ؟ (تبدأ الجوقة بالعزف).

الفندقي : انتبه ، انتبه !

جوليا : هل هو بين هؤلاء الناس ؟

الفندقي : أجل ، ولكن أصمت وانصت .

أنشودة

من هي سيلفيا هذه ، من هي ؟
حتى يثني عليها الكل ويباهي .
هـــي فتاة طاهرة عاقلة امينة
اسبغت عليها السماء نعما ثمينة
من شأنها ان تزيدها سحرا واعجابا .

هل هي طيبة بقدر ما هي جميلة ؟
أجل ، وأخلاقها للنبل سليلـــة
والعيون على الحب خير شاهد
يرى البلسم فيه العاشق الساهد
يسأل بلهفـــة عن شكّه جوابـــا .

لننشد اذاً اكراما لسيلفيا .
ففيها الجود والوفاء تلاقيا
وهي تفوق كل مخلوق كريم
على الارض الخصبة الخيِّرة مقيم
وقد اسرت جميع القلوب غلابا .

الفندقي (لجوليا) : انت لا تزال حزينا كما رأيتك قبل برهة. فما بالك يا صاح ؟ ألا تعجبك هذه الموسيقى ؟

جوليا : انت مخطىء . فان ما لا يعجبني هو الموسيقي .

الفندقي : ولماذا ، يا سيدي الانيق ؟

جوليا : لان عزفه نشاز .

الفندقي : وما السبب ؟ هل الاوتار غير مضبوطة ؟

جوليا : كلا . ان عزفه مغلوط ، ويزعج حتى نياط قلبي .

الفندقي : ارى ان أذنك المرهفة حساسة للغاية .

جوليا : أجل ، وكم أود ان اكون أصمّ لان هذا العزف يخدش أذني.

الفندقي : انا ألاحظ انك لا تحب الموسيقي .

جوليا : كلا ، ثم كلا . بل لا احب هذا الدوي .

الفندقي : إسمع انسجام التنويع المنسق في النغم العذب .

جوليا : العلة كامنة في هذا التنويع بالذات .

الفندق : هل تريد ان يتكرر الايقاع عينه بتواتر ؟

جوليا : أود ان اسمع عزف لحن واحد حلو . ولكن قل لي ، يـــا مضيفي العزيز ، هل السيد بروتيو الذي تتكلم عنه ، يزور هذه السيدة بانتظام ؟

الفندقي : لا يسعني الا ان اعيد عليك ما قاله لي رفيقه لنسيو : انـــه متدلّه بهواها .

جوليا : اين لنسيو ؟

الفندقي : ذهب يبحث عن كلبه ، ليقدمه غدا هدية لهذه السيدة تلبية لأمر معلمه . (تتوقف الموسيقى) .

جوليا : ما هذا الصمت ، ولما الانتظار صفا واحدا ؟ ثم لماذا تتفرق الجوقة هكذا ؟ (يستلقي الفندقي في صدر المسرح كأنـــه

يتهيأ للنوم) •

بروتيو : مولاي توريو، لا تهتم انت بشيء • سأدافع عنك وستقدّر شهامة موقفي •

توريو : اين سنلتقي ؟

بروتيو : عند البئر المعهودة •

توريو : الى اللقاء • (يخرج توريو والموسيقيون) •

(تظهر سيلفيا على شرفة نافذتها)

بروتيو : ليلتك سعيدة ، يا سيدتي •

سيلفيا : أشكركم على موسيقاكم ، يا سادة • من الذي تكلم الان ؟

بروتيو : رجل سرعان ما تعرفينه من نبرات صوته ، ان وثقت بصدق عواطفه الوفية ، يا سيدتي •

سيلفيا : مولاي بروتيو ، أوتظن ذلك ؟

بروتيو : أجل ، يا سيدتي اللطيفة • انا خادمك الامين بروتيو •

سيلفيا : ماذا تريد ؟

بروتيو : ان أنفذ رغباتك •

سيلفيا : كن مطمئنا • ان ما ارغبه بالذات هو ان تنسحب حالا من هنا • تباً لك من منافق محتال • أتظنني هكذا غبية وطائشة حتى أنقاد الى تمليقك واغوائك ووعودك الخداعة • عد الى عشيقتك وعوّض لها عن كل مساوئك • اما انا فأقسم لك بأني لن ألبي طلباتك ، لا بل أزدري بكل ميولك وآسف للوقت الذي أضيعه الان في التحدث اليك •

بروتيو : انا لا أنكر، يا عزيزتي الفاتنةاني احببت سيدة، لكنها ماتت.
جوليا (على حدة) : لكي أفضح كذبك ، يكفيني ان أتكلم . فأنا على يقين بأنها لا تزال حية .
سيلفيا : لنسلمّ بأنها ماتت . فان صديقك فالنتينو لا يزال حيا ، وأنا خطيبته كما تعلم . أولا تخجل من اهاتنه بتدخلك وادعائك؟
بروتيو : لقد علمت ايضا ان فالنتينو قد مات .
سيلفيا : وافترض اذاً انني انا ايضا قد متّ ، فيمكنك والحالة هذه ان تعتبر ان قلبي مدفون معه في القبر .
بروتيو : ايتها السيدة الحلوة . اسمحي لي ان انبشه من تربته .
سيلفيا : اذهب الى ضريح صاحبتك وناجها او أدفن على الاقل حبك فوق هواها .
جوليا (على حدة) : انه يأبى ذلك .
بروتيو : بما ان قلبك قاسٍ الى هذه الدرجة ، يا سيدتي ، اسألك ان تمنحيني على الاقل صورتك المعلقة في حجرتك ، فأخاطبها وأكرس لها تنهداتي ودموعي ، ما دمت قد وهبتِ قلبك شخصا آخر ، ولم يبق منك في خاطري سوى طيف متباعد، فأود ان أوجه تذكاراتي الى رسم خيالك .
جوليا (على حدة) : لو ملكت قلبي حقا لخدعته وجعلت منه طيفا نظيري .
سيلفيا : انا أكره كل الكره ان اكون المرأة التي تحبها ، يا سيدي. وبما ان الكذب يحملك على تقديم بخورك لخيال ، وعلى التعلق بسراب وهمي ، ارجوك ان تبعث اليّ صباح الغد

بمن اعطيه رسمي ، فيتسنى لك حينئذ ان ترقد ناعم البال.
بروتيو : نظير الاشقياء الذين ينتظرون تنفيذ حكم الاعدام فيهم باكرا . (تنسحب سيلفيا من الشرفة . ويخرج بروتيو) .
جوليا (تهز الفندقي) : أتريد ان تذهب ، ايها الفندقي ؟
الفندقي (يستفيق) : ما أغباني ! كيف غصتُ في النوم ؟
جوليا : قل لي ، اين يسكن السيد بروتيو ؟
الفندقي : عندي . أعتقد بأن الصبح قد انبلج .
جوليا : ليس تماما . ولكن هذه اطول وأسوأ ليلة قضيتها في حياتي . (يخرجون) .

المشهد الثالث

في نفس المكان

(يطلع النهار . ويدخل اكلامور بثياب الحداد)

اكلامور : في هذه الساعة ، طلبت مني السيدة سيلفيا ان أوافيها ، لتفصح لي عما ترغبه مني . فهي تريد ان تكلفني بالقيام بعمل هام . سيدتي ، اين انت يا سيدتي ؟
سيلفيا (تطل من شرفتها) : من يناديني ؟
اكلامور : خادمك وصديقك الذي ينتظر أوامرك .

سيلفيا : صباح الخير ، يا مولاي اكلامور •

اكلامور : صباح الخير ، يا سيدتي • تلبية لمشيئتك جئت باكرا لأعرف اية خدمة تطلبين مني ؟

سيلفيا : يا سيدي اكلامور ، لا تظن اني أتملقك • أقسم لك بأنني صادقة • انت من الوجهاء الشجعان العقلاء ذوي النباهة والفطنة ، ولا تجهل ميلي الى المنبوذ فالنتينو • وتعلم جيدا ان ابي يصرّ على تزويجي حتى بالقوة للبدين توريو الذي أكرهه بكل قواي • انت اختبرت الحب ، وسمعتك مرارا تصرح بأن لا شيء في الدنيا آلمك مثل وفاة حبيبتك التي اقسمتَ على بلاط ضريحها بأن تظل امينا لذكراها وبتولا الى الابد ، اكراما لمنزلتها الغالية عليك • يا اكلامور ، أريد ان ألحق بفالنتينو الى منتوا حيث علمت بأنه ينتظرني • ولما كان اجتياز الطرقات الى هناك غير مأمون ، ارجوك ان لا تضن عليّ برفقتك المطمئنة ، وأنت تحظى بثقتي الكاملة • لا تحتج بغضب والدي ، يا اكلامور ، انما فكّر بآلامي كامرأة ، وبشرعية هربي الذي سيجنبني قرانا باطلا يجر عليّ الوبال والشقاء والمذلة الى الابد • انا ألتمس منك هذا المعروف لانه يجسد احلى اماني قلبي المثقل بالهمّ والعذاب بقدر ما على شاطىء البحر من رمال • ارجوك ثم ارجوك ان لا تبخل عليّ برفقتك ، وأستحلفك بأن لا تبوح بسري لاحد ، لاني ، ان لم ترافقني ، أنوي

المغامرة بالذهاب حينئذ وحدي •

اكلامور : انا أرثي لحالك ، يا سيدتي ، لاني اعرف جيدا عظيم ولائك لي وأرضى بمرافقتك غير آبه لما يمكن ان ينوبني ، مـــا دمت اتوق الى تحقيق سعادتك • فمتى انت مصممة على الرحيل؟

سيلفيا : هذا المساء •

اكلامور : الى اين يمكنني ان أصطحبك ؟

سيلفيا : الى مقر صديقي بتريك حيث استطيع ان اختبىء بعـــض الوقت •

اكلامور : لن ادعك تنتظرينني طويلا • أتمنى لك نهارا سعيدا ، يـــا سيدتي اللطيفة •

سيلفيا : نهارك سعيد ، يا عزيزي اكلامور • (تنسحب سيلفيا مـــن الشرفة ويذهب اكلامور) •

المشهد الرابع

في نفس المكان

(يدخل لنسيو وهو يجرّ كلبه)

لنسيو : عندما يكون للمرء خادم يتصرف مثل الكلاب ، لا بد لسير

الامور من ان يتعرقل • وما عجبي الا بمخلوق اعتنيت به صغيرا وأنقذته من الغرق ، وكان له ثلاثة او اربعة من الاخوة والاخوات البلداء يرافقونه ، وقد ربيته بطريقة تجعلني اقول للناس بافتخار : انظروا كيف احسنت تربية كلبي • والآن ، انا مكلف بأن أقدمه كهدية للسيدة سيلفيا من قبل معلمي • وما كدت ادخل غرفة المائدة حتى قفز الى صحني وسرق فخذ الدجاج الذي كان فيه • ما افظع ان لا يكون الكلب حسن السلوك في كل الظروف• لو لم اكن سريع الخاطر لأتدارك الخطأ الذي ارتكبه ، أعتقد بأنه كان استحق القتل حتما • ومن التفاصيل التالية تحكسون على ما جرى : لقد اندس هذا الكلب مع ثلاثة او اربعة من بني جنسه تحت طاولة الدوق • وكان قد لجأ الى ذلك المكان ليبوّل ، فشم الحاضرون الرائحة الكريهة، وصرخ به احدهم : اخرج ايها الكلب • وسأل آخر : لمن هذا الحيوان ؟ ثم صاح ثالث : اطردوه ، اطردوه • وأخيرا زمجر الدوق صارخا : اقتلوه • بينما انا ، بعد ان شممت الرائحة وأدركت ان صاحبها هو كلبي ؛ مضيت حالا الى الغلام الذي يضرب الكلاب بالسياط ، وقلت له : يا صاح ، هل تنوي جلد هذا الكلب ؟ فأجابني : بكل تأكيد• فقلت له : ستظلمه ان فعلت ، لان القباحة النكراء هي من صنعي • واذا به بدون أي تحفظ يطردني من الغرفة • وكم

من السادة يتصرفون هكذا حيال خدمهم ! أؤكد لكم اني عرّضت نفسي للعقاب بسبب ما سرقه كلبي من صحون الارز بالحليب ، وإلا لكان تعرّض هو للقتل رمياً بالرصاص ، وتعرضت انا للربط الى عمود الجلد ، بسبب ما خنق من الأوزات ، فأنقذته من القصاص (يلتفت نحو الكلب) انت لا تتذكر هذا الان ، غير اني لا ازال أتخيل المهزلة التي قمت انت بها امامي • عندما استأذنت السيدة سيلفيا للانصراف ، أولم أوصيك ان تراقبني وأن تقتدي بي ؟ هل ابصرتني مرة أتصرف هكذا ؟ (يدخل بروتيو ومعه جوليا مرتدية زيّ غلام) •

بروتيو : سأدعوك سيبستيان • انت تعجبني ، وسأحتاج اليك بعد برهة •

جوليا : في سبيل ما يعجبك ، انا مستعدة لان أبذل كل ما بوسعي من الجهد •

بروتيو : انا متكل عليك • (للنسيو) ايها اللص الخبيث ، يا ابن الزانية ، اين كنت تتجول في هذين اليومين ؟

لنسيو : صدّقني ، يا معلمي • لقد حملت الكلب الى السيدة سيلفيا ، كما طلبت مني •

بروتيو : وما هو رأيها بجوهرتي الصغيرة ؟

لنسيو : العفو ، هي تقول ان كلبك بذيء ، وزادت قائلة : ان العواء هو الشكر الوحيد الذي تستحقه هدية كهذه •

بروتيو : المهم ، هل قبلتْ كلبي ؟

لنسيو : كلا • ولذا اعدته معي الى هنا •

بروتيو : أولم تقدمه من قبلي ؟

لنسيو : بلى ، يا سيدي • لكن كلبك قد سرقه مني خادم الجلاّد في الساحة العامة • فقدمت له كلبي وهو يساوي عشرة من أمثال كلبك• وهكذا حازت الهدية على استحسان مزدوج•

بروتيو : هيا اذهب من هنا وإلحق بكلبي ، ولا تعد الى هذا المكان اثناء وجودي • اغرب عن وجهي • مالك لا تتحرك ، ألتثير غضبي ؟ (يهرب لنسيو) • ايها البليد ، انت تغيظني على الدوام • لقد قبلتك في خدمتي أولا لاني بحاجة الى شاب يقضي أموري بسرية تامة ، ما دمت لا استطيع الاتكال على هذا البهلول السمج ، ثم بنوع خاص ، بسبب طلعتك وهندامك اللذين أستبشر بهما خيرا ، لانهما يدلان على ثقافة عالية وطبيعة مرحة وشريفة • فاعلم اني لاجل ذلك رضيت بك • إمض حالا وسلّم هذا الخاتم للسيدة سيلفيا لان التي اعطتني اياه كانت تحبني كثيرا •

جوليا (بزيّ غلام): يظهر عليك انك لم تكن تحبها، فأنزلت عن كاهلك هذا العبء ، لانها ماتت على ما أظن •

بروتيو : كلا • أعتقد انها على قيد الحياة •

جوليا : يا للاسف !

بروتيو : لماذا الاسف ؟

جوليا : انا لا استطيع الامتناع عن الرثاء لحالها •

بروتيو : ولماذا ؟

جوليا : لانها كانت تحبك بقدر ما انت تحب عزيزتك سيلفيا • هي تفكر بمن نسي حبها ، وأنت متيَّم بمن لا يهمها امرك • حقا ، من المؤسف ان ارى هذا القدر من الحب عرضــة للاستهتار • وحالما يخطر ببالي أصرخ : يا للاسف !

بروتيو : هيا أعطه هذا الخاتم ومعه هذه الرسالة ايضا • (يسير الى نافذة سيلفيا) • ها هي حجرتها • قل لسيدتي اني أطالب بصورتها الحبيبة التي وعدتني بها • وحالما تنتهي مهمتك ، ارجع سريعا الى غرفتي لئلا تداهمني الوحدة والكآبــة (يخرج بروتيو) •

جوليا : كم من النساء يتمنين القيام بمثل هذه المهمة ؟ وا أسفاه ، يا بروتيو المسكين • لقد تركت الذئب يرعــى نعاجك • مسكينة انت ايتها الحمقاء ! لماذا ترثين لحال من تدوسين قلبه ؟ هو يحتقرني لاني احب سواه • وأنا لاني احبه ، لا أتمالك من الاشفاق عليه • لقد اعطيته هذا الخاتم عندمـا تركني لأدعه يتذكر هواي • والآن ها انا تحت رحمته عابرة سبيل يائسة ألتمس ما لا أريد نيله ، وأقترح ما أود ان اراه مرفوضا ، وأمتدح اخلاصا أهفو الى سماع التنديد به • انا أعشق معلمي بوفاء ، غير اني لا استطيع ان اكون خادمته الامينة بدون ان اخون ذاتي بنذالة • مع ذلــك سأدافع عنه بنفس البرودة التي اكرهها لاجل نجاحه ، والله

شاهد على صدق نيتي وسلامة طويتي •

(تدخل سيلفيا مع حاشيتها)

جوليا : نهارك سعيد ايتها السيدة النبيلة • ارجوك ان تعرّفيني على السيدة سيلفيا •

سيلفيا : ماذا تريد ان تقول لها لو كنت انا في محلها ؟

جوليا : لو كنتِ في محلها لالتمست منك التكرّم بتلقي الرسالة التي كلّفت انا بابلاغك اياها •

سيلفيا : من قِبل من ؟

جوليا : من قبل السيد بروتيو ، يا سيدتي •

سيلفيا : أولم يرسلكَ لتطلب صورة ؟

جوليا : أجل ، يا سيدتي •

سيلفيا : يا هذه ، اجلبي الصورة • (تجلب الخادمة الصورة لجوليا)• اعط معلمك هذه الصورة وقل له من قبلي ان امرأة اسمها جوليا خانتها اهدافها الضالة ستزين غرفتك اكثر من هذا الرسم •

جوليا (تقدم لها ورقة) : ارجوك ان تقرإي هذه الاسطـر ، يا سيدتي • وأسألك العفو لاني سلمتك سهواً ورقة معنونة باسم غيرك• هذه هي الرسالة الموجهة اليك (تناولها ورقة ثانية) •

سيلفيا : ارجوك ان تسمح لي بالقاء نظرة على هذه ايضا •

جوليا : مستحيل • اعذريني ، يا سيدتي الكريمة •

سيلفيا (ترد لها الورقة الاولى) : تفضل (تتعرف الى كتابة الورقة الثانية)

انا لا أريد حتى التطلع الى أشعار معلمك ، لاني اعرف انها
محشوّة باعترافات ووعود مرتجلة لا يلبث ان ينكرهـــا
ويكون ذلك عليه أسهل من تمزيقي رسالته (تمزق الرسالة) •

جوليا (تسلمها خاتما) : ولقد ارسل هذا الخاتم الى سيادتك •

سيلفيا : انه يبالغ في اهانتي بتقديم هذا الخاتم اليّ • لاني سمعته الف مرة يردد ان حبيبته جوليا هي التي اعطته اياه قبل رحيلها • وان كان اصبعها المشؤوم قد دنسه ، فان انملي لن يرتكب خطيئة فظيعة كهذه بحق حبيبته جوليا (تــرد الخاتم لجوليا) •

جوليا : اشكرك •

سيلفيا : ماذا تقول ؟

جوليا : اشكرك ، يا سيدتي ، على اهتمامك هكذا بها • مسكينة هذه المرأة الطيبة التي سبّب لها معلمي كل هذه الآلام •

سيلفيا : هل تعرفها ، ايها الفتى ؟

جوليا : تقريبا ، بقدر ما اعرف نفسي • فاني لمجرد التفكير بشقائها اقسم لك بأني بكيت مئة مرة •

سيلفيا : هي تعتقد بدون شك بأن بروتيو تخلى عنها •

جوليا : أظن ذلك • وهذا هو سبب حزنها •

سيلفيا : أوليست رائعة الجمال ؟

جوليا : كانت اجمل مما هي عليه الان ، يا سيدتي • عندما كانت تعتقد بأن سيدها يحبها ، كانت في نظري تنعم بمثـــل

جمالك • ولكنها منذ ان أهملت مرآتها وخلعت عنها القناع
الذي كان يقيها لذعات الهوى ، أذبل الشوق ورد خديها
وعكّر لونها الذي كان يحاكي بياض الزنبق ، حتى اضحت
اليوم في مثل اسمراري •

سيلفيا : وكيف هي قامتها ؟

جوليا : هي تقريبا بطولي • لاني ايام العيد ، حين أشتركت في استعراض مرح، اراد بعض الاصحاب ان نمثل أدوار النساء• فارتديت احد أثواب سيدتي جوليا فلاءمني كثيرا ، وفي نظر من شاهدني من الرجال ، بدا كأنه مفصّل على قدّي، ومن هنا علمت انها تماثلني بالطول • وفي ذلك اليوم تأثرت جدا لاني قمت احسن قيام بالدور المسند اليّ ، وهو شخصية «أريانا» المفجوعة بهرب حبيبها الخائن ، وكانت دموعي طبيعية الى درجة جعلت معلمتي تبكي بمرارة • آه ! كم تمنيت ان اموت قبل ان أسبب لها ذلك الحزن •

سيلفيا : لا بد من ان تكون قد قدّرت جميلك ايها الشاب اللطيف• اسفي على تلك الفتاة الوحيدة المهجورة • اني اكاد ابكي لمجرد سماعي ما تقوله عنها الان • خذ ايها الشاب محفظة نقودي كلها لقاء ما ابديته نحو معلمتك من عطف ووفاء
(تخرج سيلفيا ونساؤها) •

جوليا : ستشكرك اذا تعرفت اليها يوما • ما انبل هذه المرأة الفاضلة الرقيقة الجميلة ! ارجو ان لا يكون معلمي سوى عاشق

عابر ، لاني ألاحظ ان حبيبته لا تكترث بعواطفه • لهفي على الهوى كم يوحي بالتصرفات الصبيانية • ها هوذا رسم معلمي • أعتقد انه بهذه التسريحة يكون محياه لطيفا مثل وجهي • ومع ذلك اظن ان الرسام قد بالغ في تجميله ، ان لم اكن انا مغرورة بنفسي • فشعره كستنائي قاتم ، بينما شعري انا اشقر ذهبي • ولو كان هذا الفرق الوحيد بيني وبين بروتيو لكنت اقتنيت شعرا مستعارا ليكتمل الشبه بيني وبينه • ان عينيه كالزجاج لا تعبير فيهما مثل عينيّ • أجل ، لكن جبهته ضيقة بقدر ما جبهتي هي عريضة • فما الذي يعجبه فيها يا ترى ، ولا أتمكن انا من نيل رضاه ؟ آه من الحب الغبي ، ما أشد عماه ! ايها الخيال المسكين ، هيا تأمل هذا الطيف ، فهو مزاحمك البغيض • (تنظر الى الرسم) • يا لك من رسم غير حساس ، سيقدم لك البخور والحب والحفاوة بلا حساب • لو كان لميل بروتيو الى التحف من معنى ، لوجب عليه ان يكرم شخصي بدلا من هذا الشبح الجامد • غير اني أحسن معاملتك تقديرا لمعلمتك التي اكرمت وفادتي • ولو اصبح الامر خلاف ذلك ، أقسم لك بكل عزيز ، اني كنت فقأت عينيك الاثنتين لكي أنتزع من صدر معلمك ما يحفظه لك من هيام (تخرج) •

الفصل الخامس

المشهد الاول

ميلانو ـ في احد المعابد

(يدخل اكلامور)

اكلامور : اخذت الشمس تميل الى الغروب . وبعد قليل يحين موعد وصول سيلفيا لموافاتي الى مقر الصديق بتريك . ستأتي في الموعد المضروب . لان العشاق حريصون عادة على الدقة في الوقت . الا اذا جاءت مبكرة ، لما بها من لهفة الى الاستعجال في تحقيق حلمها .

(تدخل سيلفيا)

ها هيذا قد اقبلت • ليلتكِ سعيدة ، يا سيدتي •

سيلفيا : ليلتك سعيدة • هيا ، يا أكلامور الكريم ، نغادر هذا المكان لاني اخشى ان يكون بعض الجواسيس في اثري •

اكلامور : لا تخافي ، فالغابة ليست بعيدة من هنا ، ومتى وصلناهـا نمسي في مأمن من كل مكروه •

المشهد الثاني

في قصر الدوق

(يدخل توريو وبروتيو ثم تتبعهما جوليا)

توريو : مولاي بروتيو ، بماذا ترد سيلفيا على الحاحي ؟

بروتيو : اني اجدها ، يا مولاي ، ألطف مما كانت عليه ، بالرغم من انها تبدي بعض الاعتراض على شخصك •

توريو : ماذا تقول ؟ ان ساقيّ أطول من المعتاد ؟

بروتيو : بل انهما أقصر مما ترغبه هي •

توريو : سألبس في رجليّ جزمة لأزيدهما طولا •

جوليا (على حدة) : ليس من قوة تدفع المحب الى حيث يكره ان يكون•

توريو : وماذا تقول عن وجهي ؟

بروتيو : انه ناصع البياض •
توريو : هذا محض افتراء • وأنت ترى ان وجهي اسمر اللون •
بروتيو : انما اللآلىء بيضاء • وما أصدق القول : ان الرجال السمر هم لآلىء في نظر النساء الجميلات •
جوليا (على حدة) : ان دررا كهذه تبهر عيون الحسناوات • لذا انا أغمض جفنيّ كي لا ابصرها •
توريو : وكيف تجد حديثي ؟
بروتيو : مسلا عندما تتكلم عن الحرب وويلاته •
توريو : وطلياً ، بدون شك ، عندما اتكلم عن الحب وأفراحه •
جوليا (على حوة) : وتعتبره الافضل ، عندما يكون حياديا •
توريو : وماذا تقول عن صفاتي ؟
بروتيو : ليس لديها ، يا مولاي ، أدنى ريب في نبلها وسموّها •
جوليا (على حدة) : لا بد من ان تكون مطمئنة البال نظرا الى ما تعرفه عنه من قلة الاكتراث •
توريو : وماذا تقول عن اصلي ؟
بروتيو : انك سليل أسرة عريقة •
جوليا (على حدة) : هذا صحيح • وهو سليل وجهاء من فئة المغفّلين •
توريو : هل تفكر بأملاكي ؟
بروتيو : طبعا وبأسف •
توريو : لماذا ؟
جوليا (على حدة) : لانها تخص مثل هذا الحمار •

بروتيو : لان املاكك غير مضمونة •

جوليا : ها هو الدوق آت •

(يدخل الدوق)

الدوق : اهلا بالسيد بروتيو ، وأهلا بتوريو • من منكما رأى أكلامور ؟

توريو : انا لم ابصره •

بروتيو : ولا انا •

الدوق : وهل شاهد احد منكما ابنتي ؟

بروتيو : كلا •

الدوق : صح اذاً نبأ هربها لموافاة حبيبها المراوغ فالنتينو ، ومرافقة أكلامور لها باتت لا تقبل الشك ، لان احد الاصدقاء صادفهما معا في الغابة حيث كان هو يتنزه • وقد عرف فالنتينو ، وأغلب الظن انه عرفها هي ايضا • ولكن بما انها كانت مقنّعة ، لم يتمكن من الجزم بأنها هي • على كل حال ، لقد صرحت هي بأنها ستذهب لزيارة الصديق بتريك، وان لم يشاهدها احد هناك • وهكذا نلمس ان ادعاءاتها تؤكد هربها • لذلك أرجو ان لا يطول شرحك ، بل ان تمتطي جوادك فورا ، وأن تلاقيني عند منعطف الشاطىء الذي يؤدي الى منتوا • لانهما اختفيا في تلك الناحية • أسرعوا ، يا سادتي الأجلاء ، واتبعوني • (يخرج) •

توريو : ويلي ، هذه فتاة صعبة المراس ، وقد هربت هكذا من

السعادة التي تطرق بابها . انا ماض الى هناك ، لا حبا بسيلفيا المستهترة ، بل لمعاقبة أكلامور (يخرج) .

بروتيو : انا ايضا ماضٍ . ولكن لأضع حدا لهذا الغرام فقط ، لا كرها بسيلفيا التي هربت لتلحق بحبيبها . (يخرج) .

المشهد الثالث

في غابة على طريق منتوا

(يدخل لصوص مصطحبين سيلفيا)

اللص الاول : هدئي روعك ، يا صبية . علينا ان نقودك الى رئيسنا .

سيلفيا : ان مآزق أدهى من هذه علّمتني اجتياز الصعاب بصبر وشجاعة .

اللص الثاني: عجلوا ، خذوها .

اللص الاول : اين الرجل الذي كان يرافقها ؟

اللص الثالث: تملّص منا واختفى ، لانه سريع العدو . لكن موسى وفاليريوس يطاردانه . (للص الاول) خذها انت الى اقصى الجهة الغربية من الغابة . هناك تجد رئيسنا . اما نحن فسنلاحق الهارب . المنحدر مطوّق ولا سبيل للفارّ الى

الابتعاد كثيرا .

اللص الاول (لسيلفيا) : تعالي معي ، لأقودك الى كهـــف رئيسنا . لا تخافي ، انه طيب القلب ، شهم ، لا يسيء معاملة اية امرأة.

سيلفيا : لاجلك يا فالنتينو ، أحتمل كل هذا العذاب (يخرجون) .

المشهد الرابع

في ناحية اخرى من الغابة

(يدخل فالنتينو)

فالنتينو : سرعان ما توطد الممارسة بعض العادات في أعماق الانسان. ففي هذه الوحدة الموحشة ، وهذه الغابة النائية ، يمكنني أن أتدبر امري اكثر من المدن الآهلة الصاخبة . هنـــــا استطيع ان أجلس وحدي ، بعيدا عن الناس، أنتشي بتغريد البلابل الشجية ، أهدهد احزاني وأصعّد آهاتي بحرية . اما انت يا ساكنة فؤادي ، فلا تغادري مأواك ولا تهجريه طويلا خشية ان يتساقط البناء ركاما على رأسي ولا يترك أطلالا تذكّرني بما كنت أنعم فيه من بهجة ومرح. ألا جددي شبابي بعطفك عليّ يا سيلفيا . يا حوريتي الفاتنة ، بادري

الى نجدة محبك المفجوع • (يسمع صوت صليل سيوف تتخلله صرخات) • ما هذه الضجة ؟ ما هذه القعقعة اليوم؟ أعتقد بأن رفاقي يفرضون ارادتهم كأنها شريعة محتمة ، يطاردون بعض المارة المساكين • هم يحبونني كثيرا • مع ذلك ، عليّ أن أسعى جديا لمنعهم من ارتكاب التجاوزات المؤذية • إنسحب انت يا فالنتينو • من القادم الى هنا ؟ (يقف جانبا) •

(يدخل بروتيو ، وبيده السيف ، ثم تدخل سيلفيا وجوليا)

بروتيو : نعم ، يا سيدتي ، لقد قمت بالمهمة التي كلفتني بها خير قيام، وان كنتِ غير آبهة لما يستطيعه خادم نظيري • لقد غامرت بحياتي لكي أنجيك من رجل كان ينوي ان يقسو عليك بوحشية ويدوس شعورك وحريتك بشراسة • فجـــودي عليّ ، على الاقل، بنظرة حنان تكون مكافأة لاخلاصي• اذ لا أجرؤ على طلب ذلك ، ولكني اثق بأنك لن تبخلي عليّ به نظرا الى كرم أخلاقك •

فالنتينو (على حدة) : ان ما اراه وأسمعه الآن يشبه الحلم • ايها الحب ، هبني الصبر لأتمالك نفسي برهة •

سيلفيا : ما أشقاني ، وما اسوأ حظي !

بروتيو : قبل ان آتي الى هنا ، كنتِ انت شقية ، يا سيدتي • لكن مجيئي اليك غمر قلبك بالسعادة •

سيلفيا : لا ، بل بالعكس ، فان قربك ضاعف تعاستي •
جوليا (على حدة) : وتعاستي ايضا ، حالما تقرّب هو اليك •
سيلفيا : أفضّل ان اقع بين أنياب اسد جائع ، وأن أذهب طعمة الوحوش ، على ان يكون خلاصي على يد الخسيس بروتيو • اللهيعلم كم أكنّ من الحب العميق لفالنتينو الذي أعتبر حياته اغلى من حياتي • وهكذا تفاقم حقدي على بروتيو اللئيم ، الذي لا يمكنه ان يكون افضل مما هو • لذلك اطلب منك ان تذهب ولا تأمل بحبي ابدا •
بروتيو : مهما كان الخطر الداهم مميتا ، سأجابهه غير هيّاب لأحظى ولو بنظرة عطف واحدة منكِ ، اذ ليس من شقاء اقسى من عذاب الهيام ، وليس أتعس من رجل يحب امرأة لا تهواه•
سيلفيا : وليس من مثيل لبروتيو الذي يعشق المرأة التي لا تميل اليه • اقرأ مجددا اذاً في محيا جوليا قصة حبك الاول • فلكي تنال رضاها ، قد مزقتَ سعادتك وجعلتها إربا اربا • وكل هذه الوعود تبخرت هباء بسبب ولهي بغيرك • في اعتقادي ، لم يعد لك الان كلمة • وأخشى ان تكون لك كلمتان مختلفتان ، فهذه هي اسوأ الحالات • نعم ، في الحقيقة ، الافضل ان لا تكون للانسان كلمة ، من ان تكون له كلمتان ، احداهما لا مبرر لها • ومع ذلك ، أظنك قد خنت أعز اصدقائك •
بروتيو : في الحب ، من يا ترى يحترم الصداقة ؟

سيلفيا : معظم الرجال ، ما عدا بروتيو .

بروتيو : اذا كانت الفصاحة والبلاغة من أشد الكلام تأثيرا ، فلن تقوى على تليين قلبك ، وأنا مستعد لان أغازلك عنوة وأجبرك على محبتي ، ولو اضطررت الى استخدام حد السيف ، وسأظل احبك رغم انفك .

سيلفيا : يا إلهي !

بروتيو (يأخذها بين ذراعيه) : سأجبرك على الخضوع لمشيئتي .

فالنتينو (يهجم) : تباً لك من متهتك وقح ! كف عن هذا العناق البذيء، يا وجه النحس ، ومجلبة الشؤم !

بروتيو : فالنتينو !

فالنتينو : يا عنوان الدناءة ، يا عديم الشرف والمروءة والوفاء ، تماما نظير اصدقاء الوقت الحاضر ، يا حليف الغدر والخيانة ! لقد خيّبت آمالي ايها الوغد ، وهدمت صرح أحلامي لان ما لمحته عيناي وحده يكفي لاقناعي بواقعك المشين . الان لم اعد أجرؤ على القول بأن لي صديقا واحدا حيا ، لان وجودك يكذّب ادعائي . فبمن اضع ثقتي عندما يسحق قلبي أعز الناس لديّ ؟ انا آسف لفقداني ثقتك بي الى الابد ، لان شكك جعلني غريبا حتى عن نفسي ، ما دام أذى القريب والحبيب يفوق كل البلايا . تباً لك ، ايها الزمان اللعين الذي اصبح فيه الصديق ابغض من العدو اللدود .

بروتيو : ان عاري وجريرتي يخجلاني . فسامحني يا فالنتينو . ليت

وخز ضميري في الحب يكون تكفيرا وافيا عن تقصيري ، فأقدمه لك تعويضا عما اقترفته بحقك من جحود . واعلم ان آلامي هي افظع من ذنوبي بما لا يقاس .

فالنتينو : لقد استوفيت حقي . والآن أجدد تمسكي بعهودك لاني أثق بكلامك . فمن لا يردعه الندم لا يستطيع ان يميز بين الخير والشر ، وأن يفرّق بين العنف واللين . وبما أن التوبة تخفف غضب الله ، ولكي تلمس ان أمانتي حيالك صادقة وراسخة ، أقدم لك كضمانة ما خبرته من فضائل سيلفيا .

جوليا : الويل لي (تترنح) .

بروتيو (يشير الى جوليا) : ماذا حل بهذا الغلام ؟

فالنتينو (يقترب من جوليا) : آه منك ايها الخبيث ! هيا اخبرني ، ما الامر؟ ارفع عينيك وتكلم .

جوليا : سيدي العزيز ، كلفني معلمي بأن أسلم خاتما للسيدة سيلفيا ، وقد تماهلت في القيام بالمهمة .

بروتيو : اين الخاتم ؟

جوليا : ها هو . خذه (تسلمه خاتما) .

بروتيو : ما هذا ؟ هو الخاتم الذي اعطيته جوليا .

جوليا : عفواً ، يا سيدي . لقد اخطأت . هذا هو الخاتم الذي ارسلته اليك سيلفيا (تريه خاتما آخر) .

بروتيو (يتأمل الخاتم الاول) : ولكن كيف حصلت عليه ؟ فعند ذهابي ،

كنت اعطيته جوليا .

جوليا : وجوليا بعينها هي التي سلمتني اياه ، لانها هي التي اتت به الى هنا .

بروتيو : ماذا تقول ؟ جوليا اتت به ؟

جوليا : انظر الى من كانت ضحية وعودك العرقوبية ، ومن أدميت قلبها المحب . منذ ذلك الحين ، كم سببت لها من مآس ! وكم أتمنى يا بروتيو ان يرتد كيدك الى نحرك بالويل والحسرة . عليك ان تستحي لانك دفعتني الى التنكر بهذا الزيّ لأخفي حقيقة حبي عن الانظار ، اذ من الاسهل، لتمويه العشق ، ان تتستّر المرأة باستبدال ثيابها حياء ، من ان يبدّل الرجل نفسيته .

بروتيو : أجل يصعب ذلك على الرجل . ولو كان وطيد الرأي ثابت الجنان ، لأصبح اقرب الى الكمال . ان ضعفه هذا بالذات يزيد الطين بلة ويضاعف نقائصه وأخطاءه ، ويحمله على ارتكاب الكثير من الحماقات والسفالات . فالتقلّب هو دائما دليل خساسة وانحطاط ، فوق ما يؤدي اليه من عواقب وخيمة . لست أدري ما الذي يسحرني في عيني سيلفيا من معاني المودة والوفاء لا اجد احلى منها في نظرات جوليا .

فالنتينو : ليعطني كل منكما يده ، وليدعني أنعم بسعادة الجمع بين قلبيكما ، اذ من المؤسف حقا ان يتناصب صديقان مثلكما

العداء طويلا .

بروتيو : الله يشهد على صدق نيتي ، واياه اسأل تحقيق أمنيتي هذه.

جوليا : وأمنيتي ايضا . (يصل بعض اللصوص بصحبة الـدوق وتوريو) .

احد اللصوص : انتبهوا ، انتبهوا ، انتبهوا .

فالنتينو : كفى ، كفى . هذا هو مولانا الدوق . أرحب بك ، يا مولاي، انا فالنتينو الطريد .

الدوق : من ارى هنا ؟ السيد فالنتينو ؟

توريو : وها هي حبيبتي سيلفيا .

فالنتينو (والسيف في يده) : ابتعد ، يا توريو ، وإلا أزهقت روحك . لا تقف في وجه غيظي ونقمتي . أكرر عليك انك لن ترى ميلانو بعد الان . ها هي سيلفيا امامك ، فلا تقل انهـا تخصك ، ولا تفكر في استمالتها . اياك ان تلامس يدها، او ان تحاول التزلف اليها .

توريو : مولاي فالنتينو ، انا لست طامعا بعطفها . فمجنون مـن تسول له نفسه بأن يغامر بحياته لاجل امرأة لا تحبه . انا لا أطالب بها ابدا ، وهكذا هي لك وحدك .

الدوق (لتوريو) : الالتجاء الى الاساليب الدنيئة للوصول اليها ما هو الا انحطاط ولؤم . إعلم انني ، قسما بشرف أجدادي ، أقدر شهامتك ، يا فالنتينو ، وأعتبرك أهلا لان تعشق امبراطورة. ومنذ هذه اللحظة ، أيقن جيدا كذلك ، بأنني أنسى كل

عذاب وحقد ، وأدعوك الى زيارتي ، وأحرضك على الطموح الى مأثرة جديدة تحاكي مروءتك التي قلّ نظيرها . ومساهمة مني بذلك اقول : يا مولاي فالنتينو ، انت شاب كريم المنبت والاخلاق ، وعليك ان تحتفظ بحبيبتك سيلفيا ما دام كل منكما أهل لرفيقه .

فالنتينو : اشكر سيادتك على هذا الثناء الذي يفعم قلبي سرورا . وأتوسل اليك باسم ابنتك ان تسدي اليّ المعروف الذي آلتمسه منك بالحاح .

الدوق : ثق بأني أستجيب طلبك مهما يكن .

فالنتينو : هؤلاء الخارجون على القانون ، عشت انا وإياهم ردحا من الزمن ، ووجدتهم من الرجال الموهوبين المخلصين ذوي الهمم العالية . فسامحهم ، ايها المولى الكريم ، على ما اتوه من التجاوزات ، ودعهم يعودوا من منفاهم الى ديارهم وعيالهم . انهم ، في الحقيقة ، مواطنون صالحون، وصدورهم عامرة بالعواطف النبيلة ، وبوسعهم ان يؤدوا للمجتمع أجلّ الخدمات .

الدوق : رأيك سديد ، ورجاؤك هو عين الصواب . وها انا أصفح عنهم وعنك ايضا . فيمكنك ان تعاملهم بسماحة كما تشاء، وحسب ما يستحقون . هيا نذهب ونضع حدا لجميع خلافاتنا باقامة الحفلات والافراح واغتنام سائر المناسبات الرسمية لنسيان الماضي .

فالنتينو : اثناء سيرنا ، سأستميح الحرية لإضحاكك بما أقصّه عليك من رواياتي المسلّية ، يا صاحب السيادة • (يشير الى جوليا) ما رأيك في هذا الغلام ، يا مولاي ؟

الدوق : يخيل اليّ ان على محياه ملامح النعمة الموروثة• انظره كيف يبتسم برزانة •

فالنتينو : انا أضمن لك ، يا مولاي ، انه جدير بالتقدير اكثر من أي غلام سواه •

الدوق : ماذا تقصد بهذا الاطراء ؟

فالنتينو : سأروي لك عنه ، على الطريق ان شئت ، بعض الطرائف المدهشة • فالى الامام ، يا بروتيو • وتعويضا عن لوعتك ، اسألك ان تنصت بكل اتنباه الى ما ابوح به لك ، لانـي أجلّك • وقريبا جدا سيحين موعد عرسي الذي سيكون يوم فرح لك ايضا • وهكذا نقيم وليمة واحـدة لنفس المناسبة ، فتعم سعادتنا المشتركة (يخرجون) •

(تمت)

.33

شك
س